أسماء اللّٰه الحسنى
من خلال مدارسة أذكار الصباح والمساء

(آية الكرسي)

أ. أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.

- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزّوجلّ-، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

الفهرس

اللّقاء الأوّل.. ٤
﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ١٦
اللّقاء الثّاني.. ٢٠
﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.. ٢٨
﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ٣٦
اللّقاء الثّالث ٣٩
﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾........................ ٤١
اللّقاء الرابع.. ٥٥
﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ٦٠
﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾........................ ٦٢
اللّقاء الخامس ٧٠
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾........................ ٧١
﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ٧٤
﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ ٨٠
اللّقاء السّادس.. ٨٢
﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ٩٣
اللّقاء السّابع.. ٩٧

اللّقاء الأوّل

الأربعاء: ٢٩ صفر ١٤٤٣ هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله الّذي أعطى الذّاكرين ما لم يعطِ أحدًا من العالمين، ورفع لهم المنازل العالية وجعلهم صفوة المؤمنين، وأشهد أن لا إله إلّا هو، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله أفضل الذّاكرين، اللّهمّ صلِّ على محمّد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدّين.

❀ أوّل وصيّة وأهمّ وصيّة نجتمع عليها: التّذكير بتقوى ربّ العالمين، فالدّنيا دار اختبار، والآخرة دار القرار، فلنستعِن بذكر الله الملك العظيم على النّجاح في هذا الاختبار، فإنّ ذكره يوصل العبد إلى كلّ خير جسيم، وينجيه من العذاب الأليم، بذكر الله تطمئن القلوب، وتزول المكاره والكروب.

وأعظم ما يَرْغَبُه النّاسُ في الدّنيا:
أن يجدوا طمأنينة في قلوبهم وراحة في صدورهم

أما علمتم أن مَن ذكر الله في نفسه ذكره الله في نفسه! ومن ذكر الله في ملإٍ ذكره الله في ملإٍ خير منه في حضرة قدسه! وأنّ الذّاكرين الله كثيرًا والذّاكرات هم الذّين أثنى عليهم ربّ العالمين وأثنى عليهم الرّسول الكريم، هم المفرّدون، وإنّهم إلى كلّ خير وكرامة ونعمة سابقون.

ذكْر الله مجلبة للغنى، مطردة للهمّ والغمّ والأنكاد والشّدائد، أما علمتم أنّ الإكثار من ذكر الله خير لكم من إنفاق الذّهب والفضة والجهاد، وما شرعت العبادات كلّها إلّا لإقامة ذكر ربّ العباد، وأنّ الجنّة طيبة التّربة عذبة الماء، وأنّها قيعان وغراسها العمل الصّالح والإكثار من ذكر الدّيّان -سبحانه وتعالى-، فمن قال: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم) غرس له بكلّ واحدة شجرة في رياض الجنّة، ومن أكثر من ذكر الله غُفرت له الذّنوب، وجُبر له ما في الطّاعات من نقصان.

فيا فوز الذّاكرين بمحبّة ربّ العالمين وذوق حلاوة الإيمان! ويا سعادتهم يوم لقائه حين تحل عليهم الكرامة والرّضوان، ويا غبطتهم في قبورهم حين يفترشون الرّوح والرّيحان، ويا فرحهم حين تتلقّاهم الملائكة مهنّئين لهم بالخيرات والكرامات والإحسان.

ويا خسارة الغافلين! ماذا فاتهم من النّعم والسّرور، وماذا حصل لهم من العقوبات والشّرور، لقد حرموا خير الدّنيا والآخرة، وباؤوا بالخيبة والحسرة والصفقة الخاسرة: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)[١].

اللّهمّ الطُف بنا واجعلنا من الفائزين، اجعلنا من المتمسّكين بحبلك المتين، فإنّ أعظم حبل مدّ من السّماء إلى الأرض حبل القرآن الّذي فيه ذكر الرّحمن عزّ وجلّ.

---

(١) المنافقون: ٩.

نستفتح هذه اللّقاءات -أسأل الله عزّ وجلّ أن يجعلها مباركة- في مدارسة أذكار الصّباح والمساء رغبة منّا أن نصل إلى معرفة الله، وإلى الوصول إلى هذا الفضل العظيم الّذي تفضّل الله به (الطّمأنينة)، الّتي هي غاية الخلق، طمأنينة النّفس الّتي وعد الله من ذكره بها، فإنّه -عزّ وجلّ- قد أخبر في كتابه عن ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾[1]، تطمئن قلوبهم بذكر الله لأنّهم يعرفون الله، وهذا شأن عظيم لا بد أن يكون على بالنا: أن نصل إلى الطّمأنينة، أن يكون مقصدنا أن نكون من المطمئنين؛ لأن هذه الطّمأنينة هي بنفسها في حقيقتها حسن الظّن بالله، بمعنى أنّ محسن الظّن بالله يكون واثقًا بالله ومطمئنًا لله. هنا سنعود إلى شأن مهم وهو:

كيف أصل إلى أن أكون من الذين ﴿تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ﴾؟

قد يقول الإنسان: أنا أذكر الله ولكن تقع عليّ مخاوف وتأتيني وساوس -وهذا كثيرًا ما يحصل-، وأحزن على ما مضى، وأخاف من المستقبل، فماذا أصنع؟ أنا أذكر الله لكن لا يتحقّق معي هذا الأمر؟!

فهنا نؤكد أنّ الطّمأنينة هي سكون القلب للشيء وعدم اضطرابه، ولا يمكن أن تأتي هذه الطّمأنينة والسّكون إلّا بشأن عظيم؛ لأن الدّنيا دائمًا متقلّبة، وعدوّنا الشّيطان دائمًا يخوّفنا ويخوّفنا، فالإنسان بين ندم على ما مضى وبين خوف من المستقبل، فلا يعيش يومه من كثرة وساوسه، والشّيطان حريص على أن يشوّشنا، وحريص على أن نضطرب، وحريص على أن لا يكون في قلوبنا حسن

---

(١) الرعد: ٢٨.

الظّن بربّنا؛ لأن حسن الظّن هو الثّقة والطّمأنينة بالله، فهو لا يريد منّا أن نطمئن!

هؤلاء الّذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله، بمعنى أنّ العبد إذا ذكر ربّه يسكن قلبه، إذا اضطرب قلبه وقلق؛ أوّل ما يتذكّر الله وأسماءه وصفاته وأفعاله ويتذكّر عظمته وجلاله -سبحانه وتعالى- يسكن القلب ويهدأ، ويذهب عنه مخاوفه؛ لأنه تذكّر بعد أن أغفله الشّيطان عظمة الرّحمن -سبحانه وتعالى-.

ولذلك تأمّلوا معي كيف يخبرنا الله عن عظمته من أجل أن يذهب عن نفوسنا ما يحصل من وساوس الشّيطان، ومن النّفس الأمارة بالسوء، وما يحصل حولنا في الزّمان من اضطرابات ومخاوف، يعلمنا ربّنا عن نفسه وعن عظيم أفعاله فيقول لنا:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ يعني كلّ الخشب الّذي في الشّجر هذا يتحوّل إلى أقلام يكتب بها، ﴿وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ تكون مدادًا لهذه الأقلام أي: حبر لهذه الأقلام؛ ﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾[1] لتكسرت الأقلام ولم تنفد كلمات الله وأفعاله وأوامره القدرية والشّرعية، ولم ينفد تدبيره لخلقه وعنايته بهم.

---

(١) لقمان: ٢٧.

فهذا الرّبّ العظيم الّذي هو الآمر النّاهي، المعطي المانع، المالك -سبحانه وتعالى-، المعرفة به والمعرفة أنّ الأمر كلّه بيده يجعل العبد يطمئن بذكره، فهو الّذي يقول للشيء: كن، فيكون، فإذا كان معك الله -سبحانه وتعالى- فلا مَخوف! ليس هناك شيء يخيفك.

وهنا نلحظ أن القرآن مليء بالأخبار عن الله، لأجل أن تصل أنت إلى الطّمأنينة بالله، لأجل أن تقوم بوظيفتك في الحياة.

وظيفتك في الحياة هي معرفة الله

نعم ولا تستغرب من ذلك، فقد قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ لأي شيء يا ربّ العالمين؟ ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[١].

إذا عرفت الله بأسمائه وصفاته وأفعاله -سبحانه وتعالى-، ووقعت في قلبك عظمة ربّ العالمين، ووقع في قلبك ما له من صفات وأفعال لا يمكن لأحد أن يحيط بها علمًا، تعجز العقول عن الإحاطة ببعض صفاته فكيف تحيط بصفاته كلّها -سبحانه وتعالى-، إذا عرفت ذلك قمت بالوظيفة الأساسية في الحياة، فكان الله لك مَهْرَبًا، كان الله لك مَلْجأً، كان الله هو معاذك وملاذك وركنك الشّديد، فوقعت الطّمأنينة.

(١) الطلاق: ١٢.

نجد أمامنا ما في العالم من اعتصارات ومخاوف، ومن اضطرابات نفسية وقلق متزايد على المستقبل، وأمراض تصيب البدن نتيجة ضعف النّفس، وأمور الله بها عليم، سلاسل من الأحزان **سببها الرّئيس: عدم معرفة الرّحمن**، فلنقطع هذه السّلاسل الشّيطانية ولنتعرف على ربّنا العظيم، الّذي امتنّ علينا بتعريفه نفسه إلينا.

ووالله لا نعمة أفضل من هذه النّعمة. لما علّم الله تعالى عباده شيئًا من أسمائه وصفاته فقد تفضّل عليهم بأعظم نعمة وأجلّ منقبة حصّلوها، نعم، لا يمكننا أن نحصلها على وجهها ونحيط بالله علمًا، ولكن ما لا يُدرك كُلُّه لا يُترك كُلُّه، فالله في القرآن أنار قلوبنا بالأخبار عنه، ورسوله الكريم علّمنا كيف نسأله بما نعتقد من أسمائه وصفاته -سبحانه وتعالى-، فتستنير قلوبنا بهذا العلم وتنشرح صدورنا له، ونعلم أننا لا نحصي ثناءً عليه -سبحانه وتعالى-، نقول مثلما قال رسولنا الكريم أفضل الخلق وأعلمهم بربّنا العظيم: «لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أنت كما أَثْنَيْتَ علَى نَفْسِكَ»[1]، الأمر عظيم!

معرفة الله تُخرج الإنسان من قوقعة الدّنيا وضيقها وتجعل صدره منشرحًا متّسعًا كاتّساع الأفق العظيم الّذي خلقه ربّ العالمين

فهذا شيء عظيم يجب أن نتذاكره دائمًا، مَن ذكر الله غُفرت له ذنوبه، فأيُّ فضل هذا الّذي يكون في ذكر ربّ العالمين! الحمد لله.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٨٦).

ومن بين هذه الأذكار الّتي علّمنا إيّاها رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- وعرفنا من خلالها شيئًا من أسماء الله وصفات الله: **أذكار الصّباح والمساء**

فإنّ المتأمّل فيها سيرى أنّ فيها من العلوم عن الله وعن أسمائه وصفاته وأفعاله، شيئًا عظيمًا يصلح نفس الإنسان ويطيّب خاطره، ويذهب عنه مخاوفه ويغيظ عدوّه الشّيطان. ولذلك لا بدَّ من التّأمّل في أذكار الصّباح والمساء، ولا بدَّ أن يكون مع التّزام الأذكار في أوقاتها أن يكون فيها كثير من التّعقّل والتّفهّم والتّعرف على الله، لأجل أن يكون نتيجتها وقوع الطّمأنينة.

❀ **فهذه اللقاءات لها مقصود نذكّر به:** أن نصل إلى أن نكون من المؤمنين الذّين إذا ذكر الله اطمأنت قلوبهم، ولا يمكن أن نصل إلى هذا المقصود إلّا بعدما نعرف ربّ العالمين، إذا عرفنا ربّ العالمين تأمّلنا فيما نقوله من أذكار فوجدنا أننا بهذه الأذكار نذكر أسماء الله ونذكر صفات الله ونذكر أفعال الله، ونؤمن بالله ونطمئن لله، فتطمئن نفوسنا وتسكن، ويحصل حسن الظّنّ بالله.

وهذا دواء كلّ سقم !

كلّ مرض نفسي ومرض بدني -أيًّا كان سببه- دواؤه:

- ذكر الله من قلب صادق يعرف من هو الله ويعظِّم الله.
- والاستمرار على هذا الذّكر.
- وعدم العجلة فيه، لا يتعجّل في قوله، ولا يتعجّل ثماره.

وإنّما يقوله وهو مطمئن لله، وسيجد أثر هذا على قلبه، وعلى نفسه، وعلى بدنه.

من أثر الأذكار:

قد تكلّم ابن القيّم رحمه الله في أثر هذه الأذكار في كتاب (الوابل الصيب من الكلم الطيب) فقال:

- "أذكار الصّباح والمساء بمثابة الدّرع كلّما زادت سماكته لم يتأثر صاحبه، بل تصل قوّة الدّرع أن يعود السّهم فيصيب من أطلقه".

درع تلبسه تحارب به وساوس الشّيطان، تحارب الاكتئاب، تحارب الضّعف الّذي يكون في البدن من الخوف ومن الحزن، وهذه الأمور كلّها تمر على الإنسان.

- ويذكر رحمه الله من فوائد الذّكر أنّه يعطي الذّاكر قوّة فيقول:

"إنّ الذّكر يعطي الذّاكر قوّة، حتّى إنّه ليفعل مع الذّكر ما لم يطيق فعله بدونه".

يعني أن الإنسان فعليًّا يعمل أعمالًا عندما يذكر الله، ويكون أقوى في قلبه وبدنه منه حين لا يذكر الله.

- وقال ابن كثير رحمه الله:

"البسُوا مِعطَف الأذكار؛ لِيقِيكم شُرور الإنْس والجَان، ودثّروا أرواحَكُم بالاستْغفار؛ لتَمْحي لكُم ذُنوب اللّيل والنّهار، وإن أصابكم ما تكرهونه؛ فسترضون وتتيقنون بأنّه خير قدّره لكم ربّكم؛ لأنّكم قد تحصنتم بالله".

يعني إلى هذه الدّرجة الأذكار توصل الإنسان إلى أنّه حتّى لو أصابه شيء في نظره أنه شر عليه سيرضى ويتيقن بأنّه خير قدّره الله. فنسأل الله -عزّ وجلّ- أن نكون ممن عرفه فذكره، بل أدمن على ذكره حتّى اطمأنت نفسه وذهبت عنه مخاوفه.

ومن أوّل الأذكار الّتي نقولها في الصّباح والمساء وتعلّمنا عن الله:

آية الكرسي

هذه الآية العظيمة الّتي هي جامعة لأسماء الله وصفاته تدل على عظمة الله، وتدل على أن الله يخرج النّاس من الظّلمات إلى النّور بهذا العلم عنه، وأنتم تعلمون سياق هذه الآية في سورة البقرة، هذه الآية العظيمة أتى بعدها آيتان تزيدك دلالة على عظمتها، وهي قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[1]، يعني بعد أن عرفت هذه الأسماء والصّفات والأفعال لله أنت لا تحتاج أن تُكرَه على الدّين، لو كنت صاحب عقل وكنت محافظًا على فطرتك السّوية، الحسن عندك حسن والقبيح عندك قبيح فسيكون عقلك مرشدًا لك، فتعلم أنّه من القبح أن تكون عبدًا لغير الله، ومن أعظم الحسن أن يكون الله هو وليّك ومولاك، ﴿قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ فأين أنت أيّها الإنسان العاقل، عقلك وفطرتك -إذا عرفت الله- يرشدانك على ترك التّعلّق بغير الله، ويوصلانك إلى الوقوف بين يدي الله. فقد ظهرت معالم الطّريق وتبيّنت وعرف الرّشد من الغيّ، هذه آية عظيمة تدل على أنّ الإنسان بعدما يعرف الرّحمن لو كان عاقلًا لا يمكن أن يختار بابًا غير بابه.

ثم تأتي الآية التّالية: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾[2]، ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي الله يتولاهم ما داموا أقبلوا عليه -سبحانه وتعالى-، وقع في قلوبهم حبّ، وقع في قلوبهم معرفة الله ومن ثمّ محبّة الله ومن

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) البقرة: ٢٥٧.

ثمّ اختاروا الرّشد على الغيّ، فيكون الله حبيبهم ووليّهم، وهو وليّ الصّالحين. ﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ خلاف من ترك معرفة الله، فهذا سيكون وليّه الطّاغوت يخرجه من النّور الفطري إلى الظّلمات والتّيه والضّياع، إلى الخساسة النّفسية وإلى مكر شياطين الإنس والجنّ يخبطونه، فنعوذ بالله من الضّلال، ونسأل الله -عزّ وجلّ- أن يجعلنا ممن عرفه -سبحانه وتعالى- فآمن وصدق وتيقن وحصل في قلبه المحبّة العظيمة فكان من أهل الرّشد وكان الله وليّه يتولى شأنه ويدفع عنه عدوه، ويستجيب لدعائه خاصّة هذه الأذكار الّتي يقولها في الصّباح والمساء.

هذه الآية عظيمة من جهات عدة؛ فلو نظرنا إليها من جهة سؤال النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لأُبَيِّ بن كعب -رضي الله عنه- عن أعظم آية في القرآن، وأُبَيٌّ من أفاضل الصّحابة وقرّائهم وكان عنده علم، وسيأتي في الحديث ما يدلّ على ذلك، سأله النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: «يا أبا المُنْذِرِ، أتَدْرِي أيُّ آيَةٍ مِن كِتابِ اللهِ معكَ أعْظَمُ؟ قالَ: قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ. قالَ: يا أبا المُنْذِرِ أتَدْرِي أيُّ آيَةٍ مِن كِتابِ اللهِ معكَ أعْظَمُ؟ قالَ: قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ»، استحى أن يتقدّم بين يدي رسول الله وأن يفتي، فسأله النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-مرة أخرى: «يا أبا المُنْذِرِ، أتَدْرِي أيُّ آيَةٍ مِن كِتابِ اللهِ معكَ أعْظَمُ؟» فردَّ في المرّة الثّانية -وفي رواية: الثّالثة- قال: «قُلتُ: ﴿اللَّهُ لا إلَهَ إلَّا هو الحَيُّ القَيُّومُ﴾».

وهذا دليل على علمه وفقهه، وعلى أنه عرف أن أشرف ما في القرآن الخبر عن الرّحمن وعظمته وجلاله، فهذه الآية أتت خالصة في ذكره وفي عظمته.

فماذا قال له النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-؟ في الرّواية: «فَضَرَبَ فِي صَدْرِي»، يعني ضربة المحبِّ، وقال له -صلّى الله عليه وسلّم-: «واللَّهِ لِيَهْنِكَ العِلْمُ أبا المُنْذِرِ»[1]، والمعنى: ليكن العلم هنيئًا لك، تهنأ به.

والعلم هناءٌ لو كنتم تعلمون!

العلم من أعظم سعادات الدّنيا

وأعظم شيء في العلم: العلم عن الله

فانظري إلى أُبَيٍّ -رضي الله عنه- حافظ القرآن، المتقدّم على كثير من الصّحابة بعلاقته بالقرآن، عرف أن هذه الآية المشتملة على عشر صفات من صفات الله، وفيها من أسماء الله -عزّ وجلّ- الشّيء العظيم، وفيها الخبر عن الكرسي الّذي يدلّ على عظمة الله، عرف أن هذه أعظم آية.

وقول النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: «لِيَهْنِكَ العِلْمُ أبا المُنْذِرِ» هذا نوع دعاء له بتيسير العلم، وأن يكون راسخًا فيه، وأن يكون سببًا لهنائه، وهؤلاء هم الأغنياء حقًّا؛ لأنّ سعادتهم في صدورهم وليست في بنوكهم وجيوبهم، ليسوا مَن إذا خلعوا ثيابهم انخلعت معها السّعادة!

لا يمكن لأحد أن يسرق من قلب المؤمن العلم وما يحصل من وراء العلم من الطّمأنينة والهناء، انظروا إلى هذه الكلمة العظيمة: «لِيَهْنِكَ العِلْمُ أبا المُنْذِرِ»، يعني ليكن العلم هنيئًا لك تهنأ به، فهُنا الهناء، هُنا السّعادة، ولكن الّذي لا يذوقها ويقف بعيدًا عنها لا يستطيع أن يتصوّرها أبدًا، والله المستعان.

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٠).

❀ **ولنعلم أمرًا مهمًّا:** وهو أنّ الله لمّا خلق الإنسان خلق له هذه المشاعر، وهذه المشاعر الّتي بها يشعر بالهناء والسّعادة أو بالشّقاء - والعياذ بالله-، جعل هذه المشاعر مثل المركب الّذي يركبه الإنسان فيسهل وصوله إلى غايته:

- فإن كان المقصود شريفًا: ذهب العناء وبقي الهناء.
- وإن كان المقصود حقيرًا: كان العناء مضاعفًا!

وحتّى عندما يصل إلى غايته ويذوقها تذهب حلاوتها وتكون حسرة عليه.

فانظروا إلى هذه الكلمة العظيمة وتوقّفوا عندها: «لِيَهْنِكَ العِلْمُ أبا المُنْذِرِ»، ليكن العلم هنيئًا لك، تهنأ به، وحين يكون العلم هنيئًا فمهما حصل فيه من صعوبات ومهما كنت في البداية تحتاج إلى صبر ومجاهدة، سيكون بعد ذلك هنيئًا لك، سيكون سببًا للهناء وذهابًا للشّقاء، فما أعظم هذا العلم!

العلم عن الله هو الّذي يوصل الإنسان إلى الهناء

نعم! لأنّ العلم عن الله سيسبب طمأنينة القلب ووقوفه أمام المصاعب بشجاعة، وسيقتحم العقبة، وسيسير في حياته عارفًا ربّه، ذاكرًا له، مستعينًا به، فهذه المعرفة تأتي بالذّكر، والذّكر سيمثّل محور كلّ العبادات، إذا كان مستعينًا سيقول: بالله، وإذا كان مستعيذًا سيقول: أعوذ بالله، وإذا كان مستغيثًا يقول: يا الله، وهكذا تجدين أنّ كلّ هذه العلاقة العظيمة بربّ العالمين دائرة حول ذكره -سبحانه وتعالى-.

ابتدأنا بهذه الآية العظيمة من أذكار الصّباح والمساء، وقد وردت النّصوص الدّالة على أنّها تُقرأ في أذكار الصّباح المساء مرة واحدة، ومعها الإخلاص والمعوِّذتان ثلاث مرات.

اليوم لأننا في مقدمة الموضوع أطلنا الكلام في الغرض من التّأمّل في أسماء الله من خلال أذكار الصّباح والمساء، لكن هذه السّلسلة ستكون مبنيّة على الاختصار وليست دراسة وتفصيلًا، نُشير حتّى نُنير.

نبدأ الآن في الكلام عن هذه الآية العظيمة الّتي بدأت بأعظم اسم لله، بدأت بخبرٍ اجعله بين عينيك دائمًا وتأمّله كلّما استطعت أن تتأمّل:

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾

﴿الله﴾ هذا الاسم العظيم هو أوّل اسم نتفكّر فيه، قال ابن عبّاس –رضي الله عنه- في معناه: "ذو الألوهيّة والعبوديّة على خلقه أجمعين"، (ذو) أي: صاحب الألوهيّة المستحقّ لها، وهذه -والله- جملة قد وُفِّق ابن عبّاس في بيانها، وهي تحمل معانيَ عظيمة؛ ولذلك هذا الاسم (الله) هو الاسم العَلَم للمَلِك العظيم.

ومعنى ذلك: أنّ فطرتي السّويّة تقول لي إن هذا الملكوت الذي أراه ووجوده وتدبيره يدلُّني على صاحبه، وأنّ صاحبه لا بدَّ أن يكون كامل الصّفات، لا بدَّ أن

تكون صفاته صفات كمال وجلال، فيكون هو إلهي، الإله الّذي تألهه القلوب فتُحبُّه حبًّا مطلقًا وتُعظِّمه تعظيمًا مطلقًا.

إذًا الملكوت العظيم يدلُّني على صاحبه ذي الألوهيّة، يعني: المستحقُّ أن يكون الإله المحبوب المعظَّم، الإله الّذي له كمال الصّفات:

له صفات الجمال ⇦ فيُحَبُّ لصفات جماله

وله صفات العظمة والجلال ⇦ فيُعَظَّمُ لصفات جلاله

وإذا كان صاحب الملكوت هو الإله الّذي يُحَبُّ ويُعَظَّم فهو المستحقُّ للاستسلام له والإقبال عليه إقبالَ المحبّين على حبيبهم والمعظِّمين على مليكهم، فهو الملك وهم له عبيد.

هذا الحقّ في هذا الاسم يحتاج إلى كثير من التّأمّل، وجميع صفات الله -عزّ وجلّ- تعود إلى هذا الاسم (الله)، المستحقّ للمحبّة لما له من صفات جمال وجلال.

إذًا عرفنا معنى اسم (الله): ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وأنّه اسم عَلَم على ذاته -تبارك وتعالى-، وكلّ الأسماء الحسنى تضاف إليه، ولذلك قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾[1].

(الله) هو الاسم الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال

فيدخل تحت اسم الله جميع الأسماء، فتقولين: الله الكريم، الله العظيم، الله الرّحيم، فهو الله الّذي له كلّ هذه الصّفات الّتي تأتي بعد ذلك بالتّفصيل، ونحن

(١) الأعراف: ١٨٠.

نقول: سبحان الله والحمد لله، فبهذا نفهم أنّ اسم الجلالة (الله) هو الاسم العَلَم الدّالُّ على ذات الله تعالى.

والحظوا مثلًا قوله تعالى في سورة الزّخرف: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[1]، آية عجيبة لا تفهمينها إلّا إذا فهمتِ معنى الإله، وهو الّذي تألهه القلوب، ما معنى تألهه القلوب؟ يعني أهل السّماء يُحبُّونه ويُعظِّمونه وأهل الأرض يُحبُّونه ويُعظِّمونه -سبحانه وتعالى-، فهو تعالى المألوه المعبود الّذي يألهه الخلائق كلّهم طائعين مختارين، وهؤلاء أهل التّوفيق يُحبُّونه ويُعظِّمونه ويُمجِّدونه -سبحانه وتعالى-.

وهناك الكارهون الّذين لا يريدون أن يكونوا لله عابدين ولكن تأتي المواقف وتضطرُّهم إلى ربّ العالمين، تأتي المواقف ويعلمون عظمته، ويعلمون مثلًا أنّ ذلك (التّسونامي) العظيم إنّما هو من فعل الإله العظيم، فيأتي الاضطرار لاعترافهم بألوهية الله من جهة عظمته وجبروته: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ -سبحانه وتعالى-.

فنسأل الله أن نكون ممَّن أقبل عليه مُحِبًّا طائعًا، مُعظِّمًا خاضعًا، فانتفع بصفات ربّه وجاءه هذا العلم فكان من أهل الهناء، نسأل الله أن يهنأنا هذا العلم ويجعلنا من أهل السّعادة: ﴿طه (١) مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾[2].

مَن عَرَفَ اللهَ ما شَقِيَ أبدًا !

---

(١) الزخرف: ٨٤.

(٢) طه: ١-٢.

❁ والوصية الأخيرة في هذا اللّقاء: أن تتأمّلوا في أذكار الصّباح والمساء خلال هذا الأسبوع، وتروا كم علّمنا رسول الله بأمر الله عن الله، وكم طمأن قلوبنا من المخاوف بأذكار الصّباح والمساء، تأمّلوها وسترون كيف أنّ الله يجعلنا نتذكّر في كلّ صباح ومساء أن لا أحد يستحقّ الألوهيّة غيره، وأنّه حيّ حياته كاملة، قيّوم قيوميته كاملة، لا يغيب عنك ولا ينام ولا ينبغي له أن ينام -سبحانه وتعالى-.

يأتينا إن شاء الله هذا الحديث بشيء من التّفصيل اليسير، ونرى كم تكون هناك في القلوب من طمأنينة من ذكره ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾[1].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني وإيّاكم بسنّة الرّسول الكريم، وجعلنا يوم القيامة من الشّاربين من حوضه -صلّى الله عليه وسلّم-.

جزاكم الله خيرًا. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

❁ ❁ ❁

(١) الرعد: ٢٨.

اللّقاء الثّاني

الأربعاء: ٧ ربيع الأوّل ١٤٤٣هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربِّ العالمين والصّلاة والسّلام على نّبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا ممّن ذكروه وشكروه فاطمأنت قلوبهم ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

وفي هذه الجلسة بإذن الله نعود إلى هذا الموضوع المهم؛ موضوع **طمأنينة القلوب بذكر الله**، وقد وعد الله الذّين آمنوا وصدقوا في إيمانهم أن يُطمِئن قلوبهم بذكره، بل وصفهم بهذا الوصف: ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾.

- **وهنا دائمًا يأتي سؤال أو إشكال:** تقول: إنّني ممّن يذكرون الله، بل وربما يذكرون الله كثيرًا، لكن لم أذق بعد طعم الطّمأنينة؟!

وأوّل إجابة على هذا الأمر هي تأكيد أن هذا الأمر حاصل، نعم! كثير ممّن يذكر الله يحصل منه الذّكر لكن لا تحصل له الطّمأنينة، وهذا سببه أن تكون هذه الأذكار فارغة من معانيها في قلب الذّاكر.

هذه الأذكار تحتاج منا أن نكون قد امتلأنا معرفة بالله، وصبرنا على هذه المعرفة، وكرّرنا هذه المعرفة، واستحضرنا هذه المعرفة، وفكرنا في الحياة بهذه

المعرفة، حتى نصل إلى اليقين بمعاني ما نقول من ذكر الله، فتكون النّتيجة أنّه عند أي اضطراب وعند أي مخاوف وعند أي ضيق أجد نفسي تنشرح بمجرد ذكر الله، ويكون هذا الذّكر مبنيًّا على رصيد عظيم في داخل النّفس، رصيد من اليقين المبنيِّ على المعرفة.

ولذا كان هذا اللّقاء، الّذي نصل به إلى هذا الأمر العظيم إن شاء الله، نسلك به أوّل الطّريق، لكن الباقي يجب أن يكون من نفس الذّاكر، يعيد على نفسه المرّة بعد المرّة معاني كلام الله، ويفكّر في كلّ مرّة في هذه المعاني وكيف تتجلّى في حياته، حتى يصل بذلك إلى الطّمأنينة.

وهنا يحسن أن نضرب مثالًا على مسألة الطّمأنينة بذكر الله؛ من أجل أن نتصوّر كيف أن هذا الذّكر لا بدَّ أن يكون له رصيد من الطّمأنينة:

فلنتصوّر مثلًا أنَّ ضيوفًا فاجؤوكِ، يريدون أن يزوروكِ وأنتِ لستِ مستعدّة، وأنتِ في ضيق في الحال ولسان حالك يقول من أين سأشتري لهم وماذا سأشتري لضيافتهم، وهم من حقّهم الضّيافة، قادمون من خارج الدّيار، وأبلغوكِ وهم في طريقهم قريبين أنّهم سينزلون عليك ضيوفًا، هذا أمر يزعج النّفس، ليس ضيوفك من يزعجون النّفس وإنّما شعورك بالعجز عن ضيافة ضيوفك كما ينبغي، ثمّ وأنتِ في الدّقائق الأولى من هذه المشاعر يحصل أن تتذكري أنّ ربّنا هو الرّزاق، أو يذكّرك أحدًا -عندما يراكِ في هذا الضّيق- أن رزق هؤلاء على الله، والله هو الذّي يرزقك ويرزقهم ويرزق الطّير في أكنانها، فإذا كان هناك رصيد من اليقين في داخل نفس الإنسان لهذا الاسم العظيم من أسماء الله (الرزّاق) الذّي

شواهده كثيرة في حياتنا، هناك رصيد في قلبك لمعنى هذا الاسم، رصيد من فهم المعنى ومن التّفكير في المعنى، رصيد أتى من مواقف مرّت سابقًا، وعشتِ سابقًا مواقف ضيق في مسألة رزق فوسّعه الله، ومررت سابقًا بمواقف حرجة في مسألة الرّزق فجمّلك الله، فهذا الّذي مضى من الذّاكرة لما كنتِ ربطتِه وعقدتِه وقيّدتِه في قلبك باسم الرّزاق، كانت النّتيجة أنّك ما تتذكّرين أو أحد يذكرك أنّ الله هو الرّزاق إلّا ويخرج هذا الرّصيد فتنفعل معه، وتقولين: الله رزّاق؛ كما رزقني فيما مضى سيرزقني فيما هو آتٍ.

هذا اليقين لا يتأتّى من مجرّد قراءة عابرة، أو مناقشة خاطفة لمعنى اسم من أسماء الله، وإنّما يأتي من تكرار الفهم لهذا المعنى، لاحظوا مثلًا في أذكار الصّباح والمساء أنّ الإنسان المؤمن يكرر: «مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ»[1]، هذه معانٍ عظيمة، لا بدّ أن تتكرّر ويفكّر فيها الإنسان تفكيرًا عميقًا ويربط الأمور ببعضها، وحين تمرُّ عليه مواقف يربط هذه المواقف بهذا الاسم، يربط هذه المواقف بهذه الصّفة لله -عزّ وجلّ-، فما أن تمرَّ مواقف جديدة إلّا والإنسان يستظهر المواقف القديمة؛ كم فرّج الله علينا، كم رزقنا الله، كم رحمنا الله، كم حلم الله علينا، كم حفظنا الله، وهكذا حتى يطمئن الإنسان في مخاوفه على الأرزاق، أو مخاوفه على الأبدان أو مخاوفه على الأبناء. لكن كما اتفقنا لا يأتي هذا بالأشياء العابرة، وإنّما يأتي باستغلال الفكر فيما خُلق له الإنسان؛ ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي

(١) أخرجه أبو داود (٥٠٧٣).

﴿خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1]، ما يمرّ علينا في اليوم واللّيلة إنّما هي أخبار يخبرنا الله بها عن نفسه، ويختبرنا هل تيقنَّا أم لا زلنا في شكّ، نعوذ بالله من الشّك، ونسأل الله اليقين.

بهذا يكون جواب سؤال:

متى يصل الإنسان لأن يكون ذكره سببًا لطمأنينته؟

بكلام مختصر: الإنسان يتعلّم، ويفكّر فيما تعلّم، وحين تمرُّ به المواقف يربطها بما تعلَّم، وكلّ مرة تمرُّ عليه المواقف يفسّرها بما تعلّم، يفسّرها تفسيرًا صحيحًا مبنيًّا على حسن الظّنّ بالله، تكون النّتيجة أنّ المرة القادمة مهما أتى ضيق سيتذكّر، مهما أتى شيء مخيف سيتذكّر، ماذا سيتذكّر؟ سيتذكّر ما أعطى الله سابقًا، ما رزق الله سابقًا، كيف لطف الله بنا، كيف حفظنا، كيف رزقنا فيما سبق.

ولذا عندما يقول أحدهم ويكون في نفسه خوف وتشاؤم: أخاف عندما أكبر أن يرميني أولادي مثل فلان وعلّان! نقول له: اترك فلان وعلّان وابدأ بحسن الظّنّ في الله، واعلم أنّ الذّي حفظك وأنت في بطن أمك وأخرجك سالمًا، وحفظك في طفولتك وفي شبابك وفي مراحل حياتك وغيرها من الأمور التّي لا تستطيع أن تعدّها، سيحفظك عند كبر سنك، اطمئن لله وأحسن الظّنّ به.

---

(١) آل عمران: ١٩٠.

وما هلك النّاس إلّا حين تركوا حسن الظّنّ بالله والطمأنينة إلى الله واطمأنوا لحساباتهم الماديّة، وأصبحت الحياة رأسمالية، ونسي الخلق البركة التّي تأتي من الله، البركة التّي تأتي حين يذكر الإنسان اسم الله، فهذا أمر يتوجّب علينا أن نعيش من أجل أن نصلحه.

وقد ذكرنا هذا الكلام ونكرره: إنّ الله خلق السّماوات والأرض لنعرفه، فإذا عرفناه أحببناه وعظّمناه -سبحانه وتعالى-، فحصلت منّا العبادة، العبادة الّتي هي مبنيّة على الحبّ والرّجاء والخوف، يحبّ الإنسان ربّ العالمين وهو وحده المستحقٌّ للحبّ المطلق، يرجو الإنسان ربّ العالمين وهو المستحقٌّ لحسن الظّنّ المطلق، يخاف الإنسان أن يسخط عليه محبوبه -سبحانه وتعالى-، يخاف أن يفعل فعلًا يغضب الرّبّ الكريم الرّحمن الرّحيم، لهذا خلقنا الله. وهذا ليس قول فلان أو علّان، هذا قول ربّ العالمين: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ كلّ هذا الكون وكلّ هذه الأمور التّي حولنا لأجل ماذا؟ ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[1] وهذا المعنى نفسه موجود في آية الذّاريات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[2].

الله يريد منا أن نعيش ونحن نعرفه حقّ المعرفة، ونتيقّن بكماله، ونقف على بابه ولا نقف على باب غيره. هذا المعنى تام الوضوح في الحديث القدسي: «يَنْزِلُ

---

(١) الطلاق: ١٢.

(٢) الذاريات: ٥٧، ٥٨.

رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»[1]، ينزل ربّنا –سبحانه وتعالى وجلّ وعلا- إلى السّماء الدّنيا نزولًا يليق بجلاله فينادي وهو الرّبّ الغنيّ: ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾[2]، الله يريد أن ننجح في هذا الاختبار في اللّجوء إليه والوقوف بين يديه، كيف تغفل أيها المحتاج عن ربّ العالمين وهو الحيّ القيّوم سبحانه وتعالى.

فهذا المعنى من أعظم المعاني التّي يجب أن تستقر في نفوسنا وعليها تدور حياتنا: أننا هنا لنعرف ربّ العالمين، فإذا عرفناه حصل منّا الذّل والانكسار والطّاعة والعبادة بكلّ شوق، وقبل الشّوق نجعلها بكل صبر، لا بأس، أنازع نفسي لأقوم بما يجب عليّ لأني أحبّ ربّ العالمين وأحبّ رضاه، وأخاف من سخطه -سبحانه وتعالى-، وأرجو أن يرحمني ويغفر لي.

فهذه المعاني -والحمد لله- إذا تجلّت في النّفس حَسُنَ من العبد التّقرب إلى الله، فآية الكرسي التّي ابتدأنا بها في لقائنا الماضي معانيها غاية في الوضوح، ويحتاج الإنسان دائمًا أن يكررها.

ولذلك حَسُنَ أن نتّبع السّنة في ذلك، نقرؤها في أذكار الصّباح والمساء، نقرؤها بعد كلّ صلاة، نقرؤها قبل النّوم، لأنّ فيها معاني عظيمة جعلتها أعظم آية في

---

(١) صحيح البخاري (١١٤٥) وصحيح مسلم (٧٥٨).

(٢) الذاريات: ٥٧، ٥٨.

كتاب الله، كما سأل النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أبيَّ بن كعب وقد مر معنا هذا الكلام العظيم وأنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- بعد أن أجاب الإجابة قال: «لِيَهْنِكَ العِلْمُ أبا المُنْذِرِ»[1]، سبحان الله! مَن يعرف أنها آية عظيمة من جهة معانيها فهذا قد سلك طريق العلم، تعلَّمَ وعرف هذه الحقيقة.

❀ **عرفنا معنى اسم (الله)**، وهذا الاسم العظيم يتطلب منّا جهدًا ليمتلئ الوجدان به، وضَعْ أمام عينيك معناه الذي قاله ابن عبّاس ولا تضيِّعْه: "الله: ذو الألوهيّة والعبوديّة على خلقه أجمعين"، هو المستحق أن يكون إلهي لأنّه كامل الصّفات، وحده لا شريك له، وحده هو صاحب الألوهيّة، المستحق للألوهيّة لأنّه كامل الصّفات.

❀ **ما معنى الألوهية؟** الألوهية غاية المحبّة مع غاية التّعظيم.
هو المستحق أن يكون هو وحده محبوبي، هو وحده المعظّم، هذه هي الألوهية.

❀ **هل إذا حصلت المحبّة والتّعظيم نقف عندهما؟** لا، بل يجب أن يحصل تعبير عن المحبّة والتّعظيم، فالمحبّة والتّعظيم توصلنا إلى العبودية، قال: "والعبوديّة على خلقه أجمعين"، إذا عرفنا أنّ الله هو الإله الحقّ الذّي يستحق المحبّة والتّعظيم، إذًا هو الذّي يستحقُّ منّا العبوديّة، يستحقُّ أن نقف بين يديه، وهذا المعنى قد تبيّن في الدرس الماضي والحمد لله.

❀ ❀ ❀

---

(١) أخرجه مسلم (٨١٠).

بعدما انتهينا من اسم الله نأتي لما بعده وهو مؤكِّد له:

﴿لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾

(الله) المألوه: أي المعبود حُبًّا وتعظيمًا، لا أحد يستحقُّ هذا الوصف إلّا هو.

❁ **(لا إله إلّا الله)** هذه هي الكلمة التّي عليها نحيا، ونسأل الله أن نموت عليها، وهي التّي تثقل الميزان يوم أن نلقى الرّحمن -سبحانه وتعالى-، كلمة عظيمة ترجح كفتها مهما كان للعبد من ذنوب ومعاصي إن قالها من وجدانه، وعرفها حقّ المعرفة، كلمة لا إله إلّا الله، لا أحد يستحقُّ أن يكون المعبود المحبوب المعظَّم إلّا الله كامل الصّفات، ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾[1]، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾[2] نعم، فلا إله يستحق أن يكون إلهًا إلّا الله ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾.

لكن الخلق يحبّون غير الله ويعظمون غير الله؟! فيكون الجواب: ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾، الله وحده هو المستحقُّ لهذه الألوهية. وإذا عرفت صفاته ما تعجبت من ذلك.

بهذا نكون انتهينا من الجملة الأولى: ﴿اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ﴾ هذه الجملة كلمة التّوحيد، ومفتاح الإسلام، ومفتاح الجنة.

❁ ❁ ❁

(١) الزخرف: ٨٤.

(٢) الحج: ٦٢.

❁ الجملة الثانية:

﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾

الله هو الحيّ القيّوم، (الحيّ القيّوم) أتت هنا كالخبر، مبتدؤه (هو) الحيّ القيّوم.

وهذان الاسمان مذكوران معًا في القرآن في ثلاث سور:

- سورة البقرة في هذه الآية العظيمة آية الكرسي.
- وفي سورة آل عمران: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[١].
- وفي سورة طه ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ (١١١)﴾[٢].

فهمنا بهذا أننا أمام اسمين عظيمين من أسماء الله، هذان الاسمان من أعظم أسماء الله الحسنى حتّى قيل إنهما الاسم الأعظم، فإنّهما يتضمنان إثبات صفات الكمال لله -عزّ وجلّ-، على هذين الاسمين مدار الأسماء الحسنى كلّها وإليها ترجع معانيها، ونبذل جهودنا في فهم معنى الاسمين بشيء من الإجمال. نبدأ باسم:

﴿الْحَيُّ﴾

ولاحظ الألف واللام في اسم (الحيّ) أي لاستغراق معاني الحياة كلّها وكمال الحياة. بمعنى أنّه -سبحانه وتعالى- **له الحياة الكاملة التّي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال.**

---

(١) آل عمران: ٢.

(٢) طه: ١١١.

وهنا يتبادر إلى ذهنك مباشرة اسم الأوّل والآخر؛ فالله هو الأوّل الذّي ليس قبله شيء، كان الله ولم يكن شيئًا قبله.

- الله هو الأوّل الذّي ليس قبله شيء.
- وهو الآخر -سبحانه وتعالى- الذّي ليس بعده شيء.

ولذلك كان ابن عباس يوصي أي أحد يأتيه وفي نفسه من وساوس الشّيطان شيء أن يقرأ آية سورة الحديد ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣) هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[١]، والّذي يقرؤها وهو لا يفهمها لا يعرف كيف هذه الآية تعالج الوساوس!

وهنا نقف أمام أمر مهمٍّ في النّفس الإنسانيّة قد خلق الإنسان عليه، وأنا أشير إليه فقط في هذه العجالة سائلة الله أن يكون كالمصباح ينير لنا الطّريق، ثمّ من أراد الاستزادة فليبحث عن هذا الأمر:

نحن في فطرنا السّوية هناك مسلَّم من المسلّمات الفطرية العقلية وهي أنّه لا بد من انقطاع التّسلسل، الأشياء لكي تكون موجودة لا بدَّ أن يكون لها مبدأ، فدائمًا حياتنا مبنية على أنه يجب أن يكون هناك أوّل، أوّل من فعل كذا، أوّل من اخترع المصباح، أوّل من أتى بكذا، يجب أن تعود الأشياء ليكون فيها أوّل، نحن نعرف هذا يقينًا ونتعامل معه حتّى لو لم نسمِّه بهذا المصطلح الفكري وهو انقطاع التّسلسل، تذهب إلى دائرة حكومية أو شركة من الشّركات ولك حاجة

---

(١) الحديد: ٢، ٤.

تريد أن تقضيها، فحين تذهب عند أوّل موظف يقول لك: ليس عندي، عند الثّاني، عند الثالث، عند الرّابع، عند الخامس ... إذا بقوا يقولون لك هذا معناه أنّك لن تصل إلى مرادك؛ لأنّك تريد أن تعرف مَن الأوّل في أخذ هذا القرار، لمَن يعود هذا الموضوع لنأخذ القرار. الّذي يحصل مع كثير من النّاس أنّهم يتيهون ويضيعون ولا يحصل الأمر، وعندما تُسأل: لماذا لم تحصل على كذا؟ تقول: ما وجدت الأوّل الذّي من عنده تبدأ الإجراءات، أوّل شخص لا بد أن يوقع الورقة لتجري الإجراءات.

نحن في حياتنا نعيش هذا المعنى؛ أنّه لا يمكن للأشياء أن تكون إلّا ويكون لها أوّل، ما دام أنّ هناك نتائج إذًا لا بد أن يكون لها فاعل، هذا الموضوع مسلَّم به، هذا الفاعل عندما تكون المسألة متسلسلة إذًا لا بد أن هذه المسألة المتسلسلة بدأت من عند أحد، وهذا مثل حين يأتيك الصغير ويسأل عن نفسه: من أين أتى؟ فتقولين: من عند ربّنا، ربّنا خلقك في بطني. وأنتِ من أين أتيتِ؟ من بطن أمي، وأمك من أين أتت؟ من بطن أمها، وهو يريد النّهاية الآن، فتقولين كلّنا نعود إلى حواء، وحواء تعود إلى آدم، وآدم من أين أتى؟ نقول: آدم أوّل البشر، نقول هذه أوّل ساعة في النّهار، هذه أوّل ساعة في اللّيل، (أوّل) هذه لازمة في حياتنا، إلى أن نصل إلى آدم أوّل البشر، من أين أتى؟ خلقه الله. فيتبادر للذهن هنا السّؤال الذّي إجابته قطع التّسلسل، والله هو الأوّل الذّي ليس قبله شيء.

هذا التّسلسل نافع للمخلوقين وحاصل عند المخلوقين، ولكن هذا التّسلسل لا ينطبق على ربّ العالمين، مسألة التّسلسل هذه سنّة خلقها ربّ العالمين في

الكون، لكن كيف تظنّ أنّ هذه السّنة تنطبق على ربّ العالمين؟! لا يمكن، تصوّر افتراضًا خياليًا أنّ جهاز الكمبيوتر المكوَّن من هذه الحاسبات الصّغيرة التّي تعتمد على صفر وواحد (١/٠)، بمعنى أنّ الدّوائر الكهربائية تدور بطريقة الإغلاق والفتح، لغتها صفر وواحد، ولغتها دائرة كهربائية، على الافتراض الخيالي، هل تأتي الكمبيوترات وتقول: وهذا الإنسان الذّي اخترعني كم صفر وواحد في بدنه؟! كم دائرة كهربائية عنده؟! هذه الأطروحة مضحكة! غير مقبولة! لماذا؟ لأنّ ما ينطبق عليك أيّها الجهاز لا ينطبق على صانعك، ولله المثل الأعلى! القانون الّذي ينطبق علينا والسُّنَّة التّي خلقنا الله بها لا تفكّر أن تجعلها على الله، تعالى الله عن ذلك.

هنا لا يوجد حلٌّ حقيقيٌّ لوساوس الشّيطان إلّا ترك التّفكير، لا تظنّ أنّ السّير مع الشّيطان يؤدي إلى نتيجة أنّ الشّيطان يملّ! لا، أرأيت الذّبابة حين تكون مزعجة وتزنّ وتزنّ عند أذنك وتذبّها من هنا وهنا فترجع! وتذهب وتعود لك وتذهب وتعود لك! هكذا الشّيطان لا يملّ، لا بدّ أن تقطع طريقه مثلما تقتل الذّبابة، تقطع طريقه ولا تعطيه فرصة أن يزنَّ في أذنك؛ لأنه يوم القيامة سيقول: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتم بِمُصْرِخِيَّ﴾[1] لم أفعل لكم شيئًا، لم أضغط عليكم، أنا دعوتكم وأنتم الّذين استجبتم. **فلا بدَّ أن نعرف أنّ مثل هذه الأفكار والوساوس لا تُحَلُّ بالتّفكير فيها، بل تُحَلُّ بقطعها.**

(١) إبراهيم: ٢٢.

ما الذّي أوصلنا لهذه المناقشة؟ اسم الله الحيّ، فالله له الحياة الكاملة التّي لم تُسبق بعدم ولا يلحقها زوال، فهو الأوّل الذّي ليس قبله شيء، وهو الآخر الذّي ليس بعده شيء، فإذا كانت حياته كاملة؛ إذًا جميع أوصافه كاملة.

ما العلاقة بينهما؟

نضرب مثالًا على الخلق يتّضح منه نقص الخلق الذي هو نقيض كمال الله، الخلق حياتهم ناقصة سُبقت بعدم ويلحقها زوال، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾[1] لماذا حياة الإنسان ناقصة؟ لأنها سُبقت بعدم ويلحقها زوال، يعني لم يكن موجودًا ثم أتى ثم يموت، نحن نفكر في نقطة ثانية الآن؛ نقول إنّ حياة الله كاملة إذًا صفاته كاملة، ونقول: إنّ حياة البشر ناقصة إذًا صفاتهم ناقصة.

فما العلاقة بين الصّفات والحياة؟

هناك علاقة طبعًا؛ لأنك عندما تنظر للوليد الصّغير تجد أنّ سمعه ناقص، وبصره ناقص، وكلامه ناقص، أوّلًا لا يتكلم ثم يتكلم، نظره ضعيف في تحديد المرئيات ثم بعد ذلك يرى، أذنه ضعيفة في سماع المسموعات ثم يقوى ويشتدّ إذا رُزق الصّحة والعافية -نسأل الله أن يرزقنا جميعًا وأبناءنا وأحفادنا الصّحة والعافية وجميع المسلمين-، ثم يكمل ويشتدّ في شبابه، ثم عندما يتقدّم في العمر تبدأ تنقص هذه الصّفات والقُوى، سمعه وبصره وكلامه وتركيزه ... فلأنّ حياته

---

(١) الإنسان: ١.

ناقصة -سبقت بعدم ولحقها زوال-، فصفاته ناقصة، كانت ضعيفة أو معدومة ثم وُجِدَت ثم قويت ثم عادت فضعفت.

من هنا فهمنا أمرًا عظيمًا؛ أنّ هذا المخلوق الضّعيف صفاته تبعًا لحياته. عندما نتكلم عن ربّ العالمين -عزّ وجلّ- الحيّ القيّوم، سيتبيّن أيضًا أنّ صفاته تبعًا لحياته، فحياته كاملة -سبحانه وتعالى-، لم يسبقها عدم ولا يلحقها زوال، إذًا صفاته -عزّ وجلّ- كاملة من جميع الوجوه، فعلمه كامل، وقدرته كاملة، وسمعه كامل، وبصره كامل، وسائر صفاته كاملة تبعًا لحياته -عزّ وجلّ-.

تصوّر مقدار الطّمأنينة وحسن الظّنّ الذّي يجب أن يستقرَّ في القلب عندما تُذكِّر نفسك أنّ الله حيّ -سبحانه وتعالى-؛ لذلك الله -عزّ وجلّ- يقول لنا: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾(١).

وهذه مواقف كثيرة يعيشها النّاس، وفي سنة من السّنوات كانت أخت في ضيق من شأنها في أوراقها الرّسمية، ولها معاملة معقَّدة نوعًا ما، فأرشدوها إلى شخص قالوا لها: ثقي به ثقة تامّة، هذا له معارف وله كذا، وأخذ منها الأوراق، وكانت هذه السّنة هي السّنة التّي أتى فيها السّيل على مدينة جدة، ويقدر الله أنّ هذا الرّجل معه أوراقها، وخرج ليقضي لها شأنها فيقابله السّيل ويغرق فيه ويموت، سبحان الله! يموت وتذهب جميع أوراقها وإثباتاتها، ويُعلم عين اليقين الآن: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ لا تعتمد على غيره، فإنّ الخلق مهما كانوا قريبين يموتون ولا ينفعون. وكم من الحكايات التّي تملأ دواوين يسمعها

---

(١) الفرقان: ٥٨.

الإنسان، فلا بدّ أن نعتبر، كم من أمٍّ نامت ثم انقلبت على طفلها الرّضيع فمات وهي أرحم النّاس به! وهذه موتة صغرى، معنى ذلك أنّ الإنسان في غاية الضّعف فلا يُعتمد عليه مهما كان، نأخذه سببًا هذا كلام آخر، لكن الاعتماد الذّي في القلب والطمأنينة الّتي في القلب إنّما هي لربّ العالمين، حتّى الأسباب إنما يُسأل صاحبها ومالكها ورازقها المعطي لها وهو الله، لا يُسأل الخلق الذّين لا يملكون نفعًا ولا ضرًّا، لا يُسأل الخلق الذّي هم بأنفسهم فقراء ضعفاء، فالّذي يورثنا الطّمأنينة أنّ ربَّنا حيٌّ كامل الحياة: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾، ثم إنّ صفاته كلّها صفات كمال.

هذا المعنى يزيد وضوحه عندما نذهب إلى اسم القيّوم:

﴿الْقَيُّومُ﴾

القيّوم أصلها من القِيَام، وهي صفة مشبّهة، وهي كما نعبّر عنه في اللّغة صيغة مبالغة، صيغة مبالغة على كلام النّاس، لكن هي في حقّ الله حقًّا حقًّا، فهو **القيّوم القائم على نفسه فلا يحتاج إلى أحد من خلقه** -تعالى الله-، هو الغنيّ، قائم على غيره، فكلّ أحد محتاج إليه -سبحانه وتعالى-.

فالقيّوم متضمن:

- كمال غناه
- وكمال قدرته.

الغنيّ تام الغنى، القادر على كلّ شيء، لا يستطيع أحد بحال أن يردَّ ما قضاه ربّ العالمين.

لذلك عندما نفكّر في اسم القيّوم نجد أنّه -سبحانه وتعالى- قائم على كلّ نفس بالرّزق والكلاءة والتّدبير والتّصريف من حال إلى حال، فالعبد لو علم ما لله -عزّ وجلّ- من قيّوميّة عليه لاطمأنَّ طمأنينة كاملة، لماذا؟ لأنّ الله -عزّ وجلّ- قائم على كلّ شأن من شؤون عبده.

والإحاطة بهذا الأمر من الصّعوبة بمكان! أنّ الله -عزّ وجلّ- قائم على كلّ الخلق؛ يأذن لدمائهم أن تجري في أبدانهم -سبحانه وتعالى-، يأذن لقلوبهم أن تنبض، يأذن لأعضائهم أن تعمل، تصوّروا أنّ كلّ نفس تنام الله قائم على روحها يقبضها ثم يردها -سبحانه وتعالى-.

يا لعظمة ربّ العالمين!
انظر كيف يأتي هذا بالطّمأنينة إلى النّفس، أنت لست ضائعًا في الحياة ولا تائهًا! ربّ العالمين يكلؤك، ويرعاك، ويحفظك، ويعطيك، ويغنيك!

لولا قيامه عليك ما تنفست نفسًا، لولا قيامه -سبحانه وتعالى- عليك ما حرّكت ساكنًا، فكيف يطمئن الإنسان لغيره؟! وكيف يرجو أحدًا سواه؟!

✿ وتأتي تتمة هذا المعنى بنفي السِّنَة والنّوم عن الله في الجملة الثّالثة من جمل الآية:

﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾

والسِّنَة مقدِّمة النّوم، وهي عند النّاس الحالة التّي تسبق الاستغراق في النّوم، فالله -عزّ وجلّ- منفيٌّ عنه أن تأخذه سِنة أو يأخذه نوم، وهذا يستلزم كمال حياته وكمال قيُّوميَّته، وهنا يظهر لنا كيف نقص الإنسان، حياته ناقصة، لماذا؟ لأنّه يموت في نومه هذه الموتة الصّغرى، وقد ورد في الحديث في وصف الله -عزّ وجلّ-، عن أبي موسى الأشعري قال: قامَ فِينا رَسولُ اللهِ صلّى الله عليه وسلّم بخَمْسِ كَلِماتٍ، فقالَ: «إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لا يَنامُ، ولا يَنْبَغِي له أنْ يَنامَ، يَخْفِضُ القِسْطَ ويَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهارِ، وعَمَلُ النَّهارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجابُهُ النُّورُ، لو كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وجْهِهِ ما انْتَهَى إلَيْهِ بَصَرُهُ مِن خَلْقِهِ»[1]. أي: لأحرقت سبحات وجهه كلّ شيء؛ لأن بصره -سبحانه وتعالى- ينتهي إلى كلّ شيء، والسّبحات بمعنى: البهاء والنّور والجلال والعظمة.

الشّاهد من الحديث: «إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لا يَنامُ، ولا يَنْبَغِي له أنْ يَنامَ»:

- «لا يَنامُ» اختيارًا -سبحانه وتعالى-.
- «ولا يَنْبَغِي له أنْ يَنامَ» يعني هذا ممّا هو ممتنع عليه -سبحانه وتعالى-، لأنّ النّوم نقص.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩).

الأحياء من البشر ومن غير البشر يحتاجون إلى النّوم ليستريحوا، وهذا من نقص حياتهم، لكن الله لا ينام -سبحانه وتعالى-، ولا ينبغي له أن ينام، فهو القائم على كلّ شيء.

وهنا نفهم لو أنّ الله سبحانه وتعالى ينام -وحاشاه سبحانه وتعالى أن ينام- فمن يدّبر الخلق؟ واليهود الفجرة الكفرة يصفون الله بهذه الصّفات -تعالى الله عما يقولون-، الخلق لا يستطيعون أن يحرّكوا ساكنًا ولا أن يسكّنوا متحرّكًا إلّا بإذنه.

والله يُرفع إليه عمل اللّيل قبل عمل النّهار، عمل كلّ واحد منا، فيحيط به علمًا، وهو مطّلع على خلقه، وإنّما هذا الرّفع زيادة في تثبيت ما يُحاسب عليه الإنسان، زيادة في تأكيد عدل الرّحمن -سبحانه وتعالى-.

المقصود أنّ هذه الآية العظيمة أثبتنا فيها أنّ الله هو المستحقُّ للألوهيّة والعبوديّة، فهو وحده الحيّ الذّي له كمال الحياة، وهو وحده القيّوم المستغني عن كلّ أحد، المُغني عباده، المُعطي عباده، القائم على عباده، ومن كماله أنّه لا يعتريه نعاس ولا نوم، فهذا من كماله -عزّ وجلّ-.

فتحصل الطّمأنينة في قلب الإنسان، حياة الله -عزّ وجلّ- كاملة باقية لا تقبل الفناء أبدًا -سبحانه وتعالى-؛ بخلاف حياة غيره، تفاجئين أنّ فلانًا كامل الصّحة مات فكيف يعتمد على غيره؟! الله هو القائم على كلّ نفس، قائم بنفسه لا يحتاج إلى غيره، فلا يبلغ العباد نفعه فينفعوه، فلا تظنّ أنّك تعبد الله لأنّ الله

يحتاج إلى عبادتك، أنت عندما تعرف الله حقّ المعرفة سيقع في قلبك الشّعور بالفقر الشّديد إلى ربّ العالمين، أنت المحتاج أن تقف على بابه، ومن إكرامه لك أن فتح لك الباب، فهو الغنيّ وأنت الفقير أيّها العبد، فالله هو القيّوم المُقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلّا بإقامته -عزّ وجلّ- له، وهو -سبحانه وتعالى- لا غالب له، فلا تأخذه سنة ولا نوم.

بإذن الله في اللقاء القادم نبدأ بالجملة الرّابعة ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللّقاء الثّالث

الأربعاء: ١٤ ربيع الأوّل ١٤٤٣هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نّبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيبًّا مباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه أن يحفظ علينا إيماننا، ويجعل زيادة العمر زيادة في العمل والإيمان حتّى نلقاه يوم القيامة آمنين مطمئنّين بما علِمنا علم اليقين عن أسمائه وصفاته وأفعاله، فإنّ العبد يأتي يوم القيامة تحت ما علم من ربّه، فإذا قوي علمه عن الله كان من الثّابتين ومن أهل اليقين.

ولذا من العلوم المهمّة الّتي يجب علينا جميعًا الاهتمام بها علم الأسماء والصّفات، خصوصًا وأننا نجد ذكر أسماء الله -عزّ وجلّ- وصفاته معنا في كلّ حال؛ فها هي أذكار الصّباح والمساء مليئة بأسماء الله، ولكي تقال كما ينبغي، ولكي تكون نافعة لصاحبها، مذكّرة له، ويكون بها من الذّاكرين؛ لا بدَّ أن يزيد إيمانه بها ويطلب أن يصل بذلك إلى اليقين، فكانت هذه اللّقاءات المباركات أسأل الله -عزّ وجلّ- أن ينفعنا بها.

وابتدأنا كما مر معنا بآية الكرسي وهذا اللّقاء الثّالث ونحن نناقش هذه الآية العظيمة.

- عرفنا فيما مضى معنى اسم (الله): وهو الاسم الأعظم الله: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.
- وعرفنا معنى اسم (الحيّ): الّذى له الحياة الكاملة الّتي لم تُسبق بعدم ولم يلحقها زوال.
- وعرفنا معنى اسم (القيّوم)؛ القائم على كلّ شيء، المستغني عن كلّ شيء، المُغني لعباده، المُعطي لهم.

وعرفنا أنّ هذه الصّفات تامّة الكمال، بدليل أنّ الله نفى عن نفسه السِّنَة والنّوم، السِّنَة بمعنى النّعاس، والنّوم أمر معروف، فهو -سبحانه وتعالى- كامل الصّفات، والخلق هم الّذين يقطع حياتهم النّوم، ويصيبهم النّعاس، يحتاجون النّوم لضعفهم ولنقصهم، ولكن ربّ العالمين كامل -سبحانه وتعالى- «لا يَنامُ، ولا يَنْبَغِي له أنْ يَنامَ»[1] كما ورد في الحديث.

ومن هنا وصلنا إلى الجملة العظيمة الثّالثة الّتي تدلّ على كماله -سبحانه وتعالى-، وهي الدّالة على ملكه وسلطانه على كلّ شيء، وهنا يكمن الاختبار العظيم؛ اختبار الخلق بالملك، فالله -سبحانه وتعالى- لما أخبر أنّه الحيّ القيّوم الّذى لا تأخذه سنة ولا نوم وبيّن -سبحانه وتعالى- أنّه وحده المنفرد بهذا أخبرنا أيضًا بانفراده بالملك في الجملة الرّابعة:

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩).

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾

أي أنّ جميع الكائنات في السّماوات وفي الأرض ملك لله وتحت قهره وسلطانه سبحانه وتعالى، فهو خالقها ومدبّرها والمهيمن عليها، والإنس والجنّ والملائكة جميعًا عبيد له.

وهذا الخبر قد تكرّر في كتاب الله، ونحن ساعون لنصل إلى الطّمأنينة بذكر الله، ربّ العالمين يطمئننا أنّ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فجميع الكائنات تحت قهره وسلطانه، فمم تخاف أيّها العبد؟!

وهنا لا بدَّ أن نلحظ ثلاثة أمور تزيد من طمأنينتنا:

- **الأمر الأوّل:** وهو في غاية من الأهمية: أنّ الملك والسّلطان لربّ العالمين وحده لا شريك له، فلا أحد يستطيع أن يمنعك شيئًا أو أن ينزع منك شيئًا قد كتبه الله لك، ومن هنا نفهم قول النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: «إنَّ رزقَ اللَّهِ لا يجرُّهُ حِرصُ حَريصٍ، ولا يردُّهُ كُرهُ كارهٍ»[1].

فهذا الأمر الأوّل الّذى نؤكّده وبسببه تحصل الطّمأنينة: أن تعرف أنّ الله ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، أنّ ما كتب لك من رزق سيكون لك ولا أحد يستطيع أن يصرفه عنك أو ينزعه منك، فلا تخشى ولا تخاف، الملك كلّه لله،

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٠٣) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٠٦).

وإذا كان الملك لله فهو -سبحانه وتعالى- الّذي يصرّفه كيف يشاء، ولا أحد يقدر أن ينزع منك ما كتبه الله فاطمئن.

- **الأمر الثّاني** الّذى يجب أن يكون في نفوسنا ونحن نتعلم صفة الملك لله: أن يقع في نفوسنا يقين عظيم أنّ المَلِك -سبحانه وتعالى- هو الّذى يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممّن يشاء، ومن ثمّ لا يطلب من غيره ملكًا، ومن ثمّ يكون هو وحده الّذى يتوجّه إليه الخلق في طلب هذا الملك، فلا يكون في قلبك أدنى تعلّق بغيره حال حاجتك لشيء، فإنّه الملك العظيم الّذى بيده كلّ شيء.

وهنا لا بدَّ أن ننتبه أن لا يغرّنا ملك من يملك فنجد قلوبنا معلّقة بغير الله، أو نجد أنفسنا مطمئنين لغير الله، أو معتمدين على غير الله! لا، لا بدَّ أن يكون في نفوسنا ثقة تامة بالله، وفي أذكار الصّباح والمساء نقول: «اللَّهمَّ فاطرَ السَّماواتِ والأرضِ عالِمَ الغيبِ والشَّهادةِ ربَّ كلِّ شيءٍ ومليكَهُ»[1] نحن نذكّر أنفسنا في كلّ وقت أنّ الله ربّ كلّ شيء ومليكه، فإذا كان ربّ كلّ شيء ومليكه فممّن تطلب حاجتك؟! تطلبها من ربّ كلّ شيء ومليكه.

إذًا هذان أمران يورثان الطّمأنينة في نفس الإنسان:

الأمر الأوّل: إن كان معك ما معك من الملك فلا يستطيع أحد أن ينزعه منك إذا قدّره لك الملك العظيم، الّذي له ملك السّماوات والأرض، ولتعلم أنّ رزق الله لا يجرّه حرص حريص ولا يرده كره كاره، فالأمر بيد الله.

---

(١) أخرجه أحمد (٨١) وأبو داو د (٥٠٦٧).

وهذا يأتي بالأمر الثاني: مادام الأمر بيد الله وأنا أطمئن لله ولا أخاف أن يمنعني أحد فليكن تعلّقي بالله وطلبي من الله وسؤالي لله ورغبتي في ما عند الله، كلّ هذا يكون من المؤمن الصّادق الّذى يعرف أنّ الله ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وهذا يدلّ على أن كلّ شيء ملك لله، فاطمئن لا أحد يستطيع أن ينازعك في شيء تملكه، وأيضًا اطمئن لله ولا تقف على باب غير الله؛ لأنه لا أحد يملك الملك إلّا الله.

وهنا لا تظنّ أنّ الملك الشّيء المادي فقط، تظنّ أنّك لو طلبت مالًا أو طلبت سكنًا لا تطلب إلّا من الله فقط! وإنّما حتّى لو طلبت حبًّا، حتّى لو طلبت اهتمامًا، حتّى لو طلبت برًّا من أبنائك، أو صلة من أرحامك، أو إحسانًا من جارك، أو كفاية أذى حتّى من جارك، فلتعلم أنّها كلّها بيد الله. فإن أرادت المرأة أن يكون لها مكان مثلًا عند زوجها وأن ترزق حبّه فلتطلب من الله مالك الملك هذا الأمر، حتّى هذا ما يأتي به إلّا الله، فالله كما يملك كلّ شيء في الأرض وفي السّماء فمن ضمن ذلك يملك قلوب العباد. والهداية والثّبات على الصّراط المستقيم من أعظم ما يرغب فيه المؤمنين، فلتكن هذه الرّغبة في الهداية إلى الصّراط المستقيم التّعبير عنها هو طلبها من ربّ العالمين، أليس له ملك السّماوات والأرض؟ أليس له ما في السّماوات وما في الأرض؟ أليس هو الملك -سبحانه وتعالى- المنفرد بالملك؟! فلتصدق وأنت تقول: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾[1] فلتصدق وأنت تطلب الصّراط المستقيم؛ لأنه لا يعطي هذه الهداية إلّا ربّ العالمين، كما أنّه لا يعطي شيء في الكون صغيرًا كان أو كبيرًا إلّا

(١) الفاتحة: ٦.

ربّ العالمين. وهنا دائمًا يظهر أمر في نفوسنا أننا نرى النّاس يملكون، وأنّهم يستطيعون أن يعطوا، وهذا يوصلنا إلى:

- **الأمر الثّالث:** أن تعلم أنّ ملك النّاس اختبار، يختبر الله به العباد، يختبر المالك نفسه ويختبر النّاظرين إليه، ويختبر النّاس من حوله، وهذا أمر معروف لمن تصوّر المسألة جيدًا. فقد قال -عزّ وجلّ-: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾[1] معنى هذا أنّ الله جعل النّاس بعضهم لبعض فتنة واختبارًا.

ما وجه الاختبار؟

أنّ الّذى يملك يظنّ أنّ هذا المُلك له، وأنّه هو الّذى أتى به، وأنّه هو القادر على تصريفه.

والّذي ينظر إليه يظنّ هذا الظّنّ نفسه؛ أنّ هذا الملك للمالك، وأنّه هو الّذى أتى به، وأنّه هو القادر على تصريفه، وأنّه إذا أراد بمشيئته أن يعطيه، وأنّه إذا لم يرد بمشيئته لا يعطيه، النّاس يُختبرون بذلك.

فمن ينجو هنا؟

الله سبحانه أخبرنا من ينجو، فالمتأمّل في قصّة مثل قصّة قارون، والنّاظر إلى أحداثها يسمع قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾[2]، ويسمع ربّ العالمين يقول لنا: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ لاحظوا الضّمير هنا مهم أن تتأمّلوه، يعني الله آتاه من الكنوز وليس هو الّذى كما يظنّ أتى بها لنفسه.

---

(١) الفرقان: ٢٠.

(٢) القصص: ٧٦.

ثمّ يصف لنا ربّ العالمين كيف عامل هذه النعمة بالبطر، واجترأ على قرابته: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾، ثمّ يصف لنا ربّنا هذه الكنوز بأنّ مفاتحها فقط -أي مفاتيح الصّناديق الّتي يختزن فيها المال- من كثرتها تثقل على العصبة الّتي يحملونها، هذه المفاتيح فما بالك بالخزائن؟! ثم أخبرنا الله عن قومه حين قالوا له: ﴿قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ (٧٦) وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾[١].

هذه الأحداث معروفة عندنا وكل من قرأ القرآن تبيّنت له، **والشّاهد** هو فتنة قارون بملكه؛ لاحظ قول الله -عزّ وجلّ-: ﴿وَآتَيْنَاهُ﴾ ثمّ هو يقول: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾! ولاحظ: ﴿إِنَّمَا﴾ هنا أداة حصر، فهو يَرُدُّ على كلّ من وعظه بأن لا تقولوا إنّ هذا المال اختبار ولا امتحان وإنّما هو لي، ولاحظ: ﴿أُوتِيتُهُ﴾ فعل لم يسمَّ فاعله، ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾ يعني لم يصلني هذا المال وما أوتيته إلّا عن علم علمته، بمعنى أنّه يرى أنّه تعلّم وتعب ثمّ عمل وجدَّ وخرج بهذه النّتيجة. ولاحظوا هو نفس الكلام الّذى يعيده ويكرّره كلّ من عنده ثروة يقول: أنا عملت و"اشتغلت على نفسي" -بتعبير المعاصرين-، وهو يعلم علم اليقين أنّه فتحت له أبواب ما كانت تخطر على باله، وبصّره الله بأمور ما كانت تخطر على باله، وسدّده الله في قرارات ما كانت تخطر على باله، فبدلًا من أن يشكر الله كفر بأنعم الله حين قال: أنا ما كسبت هذا المال إلّا بجهدي وبعلمي، وهكذا.

---

(١) القصص: ٧٦-٧٧.

إذًا الآن هو فُتن، هذه فتنته، يأتينا فتنة النّاس به؛ وطبعًا مثل هؤلاء لا يستطيعون أن يكونوا إلّا مستعرضين للملك؛ لأن في النّفس طغيان، والإنسان حين ينسى أنّ الله ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وأنّ الله ما ملّكه إلّا اختبارًا وامتحانًا تكبر في نفسه إرادة العلوّ على الخلق فيخرج يصوّر للناس شيئًا من هذا الملك ليرى في أعينهم الإعجاب، ويسمع من كلامهم الإطراء، وكأنّه هو الّذى أعطى نفسه الملك، ولاحظوا كيف الأمور هي نفسها تتكرّر في كلّ زمان، وما عرف هؤلاء المساكين أنّ الله يهدّدهم: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً﴾[1] وهذا الكلام عن هذا الإنسان الّذى رسب في اختبار الملك.

المهم هو ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾[2] هذا أمر معلوم، لاحظوا لما خرج هو ذاهل تمامًا بما وقع في قلبه من طغيان، ذاهل تمامًا أن الله ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ونرى أيضًا مَن هو ذاهل معه ونسى هذا الأمر وتصرف بطريقة الجاهلين، لا بدَّ أن يكون هؤلاء جُهَّالًا، أي لا يعرفون الله ولا يعرفون أنّ له ما في السّماوات وما في الأرض، ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ وقد تبيّن لنا أنّه رفض الموعظة وخرج يتباهى بالثّياب والطّيب والمراكب والخدم؛ لأن هذه الزّينة شيء مما يتمناه الرّاغبون في الدّنيا، فمباشرة فُتن الطّرف الثّاني ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[3] ، ولذلك هذه المسألة المهمة جدًا لا بدَّ أن نعرفها: الله له ملك السّماوات والأرض، ولكن يبتلي النّاس بالملك اختبارًا وامتحانًا، فيُفتن المالك نفسه الجاهل بالله، ويُفتن الّذي

---

(١) الأنعام: ٤٤.

(٢) القصص: ٧٩.

(٣) القصص: ٧٩.

لا يملك الجاهل بالله، وهنا يظهر قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ ففُتن الطّرفان.

فهؤلاء الّذين يريدون الحياة الدّنيا نظروا لزينة قارون حين خرج متباهيًا بثيابه، بمركبه، بذهبه، بخدمه، وكل شخص عينه على شيء؛ لأن كلّ شخص عنده ميول مختلفة في رغباته في الدّنيا، شخص يهمّه المراكب، وآخر يهمه الخدم، وآخر يهمه الذّهب، وهكذا. المهم أنه لم يُفتن إلّا ﴿الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾، ولكن لا بدَّ أن تعرف أنّ هؤلاء الّذين يريدون الحياة الدّنيا ضعفاء اليقين، الّذين لا يعرفون حقيقة الابتلاء بالملك، ولا يعرفون أنّ الملك إنّما هو لربّ العالمين، هؤلاء تلهيهم زخارف الدّنيا عن ما فيها من سوء العواقب، فأبصارهم تكون قاصرة عن التّدبّر في نهاية مثل هذه الأمور النّهاية الحقيقية، إذا رأوا زينة الدّنيا يتلهّفون عليها، ولا يتمنّون غير حصولها، وهؤلاء يمكن أن يكونوا مؤمنين إلّا أنّ إيمانهم ضعيف، ولذلك عظّمت الدّنيا في عيونهم وعظم ما عليه قارون من البذخ، ولذلك عبّروا: ﴿إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ يعني مثلما نعبّر "عنده بخت"، فيرون ما قُسِم له من الدّنيا شيئًا عظيمًا، وهذا الكلام صدر عن تعجُّب.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ هذا الطرف الأول المقابل للذين يريدون الحياة الدنيا، هؤلاء أوتوا العلم بأي شيء؟ بهذه الجملة العظيمة الّتي تقرئينها في آية الكرسي: أنّ الله ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وأنّ الملك الحقيقي هو ملك الله، وأنّ الملك كلّه يعود إلى الله، وأنّ الله -عزّ وجلّ- يختبر العباد في هذا الملك. ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ﴾ هؤلاء ما كانوا مفتونين بلذائذ الدّنيا ومفاخرها

الباطلة، ولا كانوا منبهرين بحالة قارون، وإنّما هذا فُتن به القوم الضّعفاء في إيمانهم قليلو العلم، ﴿وَيْلَكُمْ﴾ ويل: هذا اسم للهلاك وسوء الحال، هذا التّفكير سيهلككم، هم الآن يعظونهم، ويتعجبون من تعلّق نفوسهم بزينة الحياة الدّنيا، ويتعجبون من اغتباطهم بحال إنسان ابتُلِي واختُبِر، ويتعجبون من انصرافهم عن الاهتمام بثواب الله الّذى يستطيعون تحصيله بالإقبال على العمل النّافع والرّضا بما قسم الله، وقارون في خروجه عليهم بزينته واضح أنّه ليس متخلِّقًا بالفضائل الدّينية، وواضح أنّه راسب في اختباره، فمن البداية هو قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾، وزاد هذا الرّسوب أنّه خرج يطلب الإعجاب.

فأهل العلم قالوا لهؤلاء المعجبين: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ﴾، لهذا فليكن عمل العاملين، لكن لمن ثواب الله؟ ﴿لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ فعلى حسب صحّة الإيمان، وعلى حسب استدامة العمل الصّالح يكون ثواب الله. ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾[1] هنا تظهر لنا مسألة الفتنة والاختبار، اختبار الملك لله ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ قادر على أن يعطيك، وقادر على أن يغنيك، وقادر على أن يجعل لك القصور والدّور، ولكن ليس لهذا أنت خُلِقت! وإذا وُهِبت مثل هذا فالواجب أن تبقى متيقّنًا أنّ الملك لله، وأنّك في هذا الملك مختبر؛ ولذلك قال: ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾، يعني يصبر المبتلى بالحرمان من زينة الدّنيا على الحرمان، ويصبر المبتلى بعطية الدّنيا على العطية، وكلاهما يعمل صالحًا.

---

(١) القصص: ٨٠.

ولاحظ ﴿وَلَا يُلَقَّاهَا﴾ بمعنى لا يصل إلى السّيرة الحسنة، لا يصل إلى الدّرجات العُلى والجنّات العظيمة إلّا من صبر؛ لأن الصّبر وسيلة لنيل الأمور العظيمة، فالدّنيا كدح وكبد، الّذى يملك والّذي لا يملك كلّهم في كبد؛ لأن كليهما عليه أن يكابد لكي يسمو، فهذا يكابد في أن يحصّل المال من الطّرق الّتي يقبلها الله، ويبقى مستشعرًا أنّ الملك ملك الله، وأنّ عليه أن يعطي كما أمره الله، والثّاني يكابد أن يصبر ويعلم أنّ الملك ملك الله وليس ملك الخلق، وأن يطلب الله، وأن يرضى بما قسم الله، وأن لا يتعلّق إلّا بالله. وهذا كلّه يحتاج إلى صبر.

لا زلنا في قارون ونفكّر في رسوبه في الاختبار وفي خسارته. فبعدما بيّن ربّ العالمين افتتان قارون بالملك وافتتان الّذين يريدون الحياة الدّنيا بالملك، وبعدما بيّن موقف الّذين أوتوا العلم وعرفوا أن الملك لربّ العالمين، قال عزّ وجلّ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ يعني كانت هذه هي النّتيجة من اختباره، والخسف بمعنى انقلاب ظاهر الأرض لباطنها وبالعكس، ونلاحظ الفاء هنا تدلّ على أنّ هذا الأمر حصل سريعًا؛ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ لأنّ الملك ملك الله، فماذا كانت النّتيجة؟ ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ هؤلاء الّذين يريدون الحياة الدّنيا استفاقوا الآن من سكرة الدّنيا ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ وصلوا إلى الحقيقة العظيمة، فيتعجبون ويقولون: وَيْ، كأنَّ الله يبسط الرزق، يتعجبون من هذا الأمر ويتكلمون بما توصلوا إليه فيقولون: الأمر بيد الله، الملك ملك الله، كنّا أمس نتمنّى منزلة قارون واليوم نحمد الله أنّنا لم نكن في مكانه لما رأوا من سوء

عاقبته، وامتلكهم العجب من تلك القصّة، ومِن خفيِّ أفعال الله في خلقه، وعلموا أنّ الملك بيد الله يؤتيه من يشاء ابتلاءً ويمنعه ممن يشاء ابتلاءً، فعلموا وجوب الرّضا بما قدّر الله للناس من الرّزق.

فصار يخاطب بعضهم بعضًا يقولون: ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ أي يوسِّع، ﴿وَيَقْدِرُ﴾ أي ويضيّق على من يشاء ويعطي بمقدار، فبسطة الأرزاق وضيقها إنّما هو من تصريف المالك في ملكه، كلّ الخلق مَن بُسِط لهم في رزقهم ومن قُدّر عليهم كلّهم عبيده، فالواجب أن يكونوا متيقّنين أنّ الملك بيد الله، فيرضون بما قسم لهم مولاهم، ويعرفون أنّه لو جاءهم رزق على يد أحد من الخلق فإنّما ساقه الله لهم عن طريق هؤلاء اختبارًا وامتحانًا.

ولذلك انظري لهم وهم يحمدون ربّنا: ﴿لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ تصورّي وصلوا إلى أي نتيجة؟ أنّه لولا أن منّ الله علينا فحفظنا من رزق كرزق قارون لخسف بنا، أصبحوا يرونه شرًّا، لما رأوا الحقيقة رأوها شرًا، لولا أن منّ الله علينا فحفظنا من رزق كرزق قارون لخسف بنا، يعني لكنا طغينا مثل طغيان قارون فخسف بنا كما خسف به، فلولا أن منّ الله علينا وحفظنا من ذلك لكانت هذه حالنا.

فالآن هم رأوا بأعينهم كيف أنّ الملك لله وأنّ الله يؤتيه من يشاء اختبارًا ﴿وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ هذا كفر النّعمة العظيم الّذى يتبعه نسيان ربّ العالمين، نسيان أننا هنا في اختبار؛ ولذلك الله -عزّ وجلّ- يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[1]

هذا هو الّذى يجب أن نصل إليه جميعًا؛ الملك ملك الله، العطية إنّما هي من الله.

فإذا قرأنا آية الكرسي امتلأت قلوبنا يقينًا بأنّ الملك كلّه لربّ العالمين، وأنّه عزّ وجلّ هو الّذى يصرّف هذا الملك، فلا تظنّ أنّ أحدًا يشارك الله -سبحانه وتعالى- في ملكه، أو أن أحدًا يأخذ شيئًا ما كتبه الله، فوصلنا من ثَمَّ إلى شيء مهمٍّ تطمئنُّ به نفوسنا، وهو الرّضا بالله وبما قسم الله، واليقين بأننا في اختبار فيما رزقنا الله.

نعود مرة أخرى للأمور الثلاثة:

- لا أحد يستطيع أن يمنعك أو ينزع منك شيئًا أعطاه لك الله أو قدّره لك، ولا أحد يستطيع أن يعطيك، «إنَّ رزقَ اللَّهِ لا يجرُّهُ حِرصُ حَريصٍ، ولا يردُّهُ كُرهُ كارِهٍ»[2].
- وإذا كان الأمر بهذه الصّورة فلا يُطلب إلّا من الله، كلّ الأرزاق بجميع أنواعها إنّما تُطلب من الملك العظيم الرّب الكريم، فهو الملك -عزّ وجلّ- المالك لكلّ شيء.
- ثمّ يأتي الأمر الثّالث وهو: اليقين أنّ هذا الملك الّذى قدّره الله لعباده إنّما هو اختبار على من يملك وعلى من لا يملك، فالله هو الملك الحقّ ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾[1] له ملك السّماوات والأرض.

---

(١) القصص: ٨٣.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٠٣) وأبو نعيم في حلية الأولياء (٥/ ١٠٦).

عندما نفهم هذه الأمور الثّلاثة تطمئنُّ نفوسنا؛ فلا يقع خوف من أحد أن ينزع منّا شيئًا قدّره ربّ العالمين، فنسعى سعي الهادئين، وإذا فتح الله لنا بابًا للرزق سعينا ونحن في غاية من الطّمأنينة أنّ لا أحد سينازعنا، فقمنا بما يجب علينا، فإذا كان ذلك رزقَنا سهّله الله، وإذا لم يكن رزقَنا قمنا بما يعذرنا عند الله، نحن إنّما نُخاطب بالاجتهاد في أخذ الوسائل والأسباب، ولا نحاسَب على النّتائج فإنّها أرزاق.

فإذا قمت بما يجب عليك أيّها المؤمن تؤجر على ما فعلت، مثلًا إذا بذل الإنسان جهوده في تربية أبنائه تربية صحيحة وأخذ كلّ الأسباب، ثمّ لم يكن القدَر الّذى قدّره الله أن يكون هؤلاء الأبناء من الصّالحين، أو لم يصلوا إلى ما يريد، فإنه يؤجر على ما فعلت، وما وصلوا هم له فهذا بيد الله، هذا لا يكون إلّا بيد الله.

ففي النّهاية نحن نرضى بما قسم الله، ونبقى لا نسأل إلّا الله، فإذا كان الله هو مالك الملك، والملك الحقيقي له وكلّ النّاس مُختبَرون بهذا الملك، فلنعلم أنّ كلّ التّدبير والتصريف إنّما هو له -سبحانه وتعالى-، هو الّذى يصرّف الأمور ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢].

---

(١) المؤمنون: ١١٦.

(٢) آل عمران: ٢٦-٢٧.

أيّتها المؤمنة الفاضلة المباركة، إذا قرأتِ آية الكرسي ووصلتِ للخبر العظيم أنّ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ اعلمي أن هذا يدفعك لليقين أن تسأليه، لأنّ الله ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾[1]، قال ابن القيم في هذه الآية العظيمة في كتابه (طريق الهجرتين): "يغفر ذنبًا؛ ويفرج كربًّا؛ ويكشف غمًّا، وينصر مظلومًا؛ ويأخذ ظالمًا، ويفكُّ عانيًا؛ ويغني فقيرًا، ويجبر كسيرًا؛ ويشفي مريضًا، ويقيل عثرة؛ ويستر عورة، ويُعزُّ ذليلًا؛ ويُذِلُّ عزيزًا؛ ويُعطي سائلًا، ويذهب بدولة ويأتي بأخرى؛ ويداول الأيام بين الناس؛ ويرفع أقوامًا ويضع آخرين، ويسوق المقادير الّتي قدّرها قبل خلق السّماوات والأرض بخمسين ألف عام إلى مواقيتها؛ فلا يتقدّم شيء منها عن وقته ولا يتأخّر، بل كلّ منها قد أحصاه كما أحصاه كتابه؛ وجرى به قلمه؛ ونفذ فيه حكمه؛ وسبق به علمه، فهو المتصرِّف في الممالك كلِّها وحده؛ تصرُّفَ مَلِكٍ قادرٍ قاهرٍ، عادلٍ رحيمٍ، تامِّ الملك، لا ينازعه في ملكه منازع، ولا يعارضه فيه معارض، فتصرّفه في المملكة دائر بين العدل والإحسان والحكمة والمصلحة والرّحمة، فلا يخرج تصرّفه عن ذلك".

إذا علمتِ هذا وقرأتِ آية الكرسي وتذكّرتِ هذا المعنى العظيم في هذه الجملة العظيمة: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ تذكّري أنّ مالك الملك -سبحانه وتعالى- قريب، فاسأليه واطلبي منه واطمئنّي إليه وإلى أقداره، واعلمي أنّه الملك وأنّه الحكيم العليم الرّحيم بخلقه، وتذكّري حال القوم الّذين رأوا قارون يهلك ماذا قالوا؟ قد منّ الله علينا فما جعلنا مع هؤلاء الّذين هلكوا بما حصل لهم من ملك وطغوا في ملكهم.

---

(١) الرحمن: ٢٩.

فالحمد لله ربّ العالمين الّذى عرّفنا أنّ الملك له فلا نَذِلّ لغيره، والحمد لله ربّ العالمين الّذى عرّفنا أنّه يُوسِّع ويُضيِّق على خلقه لحكمة واختبار؛ فنرضى بتوسيعه، ونرضى بتضييقه، ونبذل جهودنا أن نكون من الصّابرين، لنلقاه يوم القيامة ونحن راضون، وهو -سبحانه وتعالى- راضٍ عنا.

الحمد لله أنّ بيّن لنا أنّه لا أحد يستطيع من الخلق أن ينزع ما قدّره لنا، لتصفى نفوسنا فلا نحقد على أحد ولا نخاف من أحد، ونطمئن غاية الطّمأنينة لربّ العالمين.

الحمد لله الحمد لله الحمد لله الّذى علّمنا عنه، والله إنّه لشرف عظيم لنا، وغاية الطّمأنينة به -عزّ وجلّ-، الحمد لله ربّ العالمين.

انتهى كلامنا عن هذه الجملة العظيمة من جمل آية الكرسي، ونبتدئ إن شاء الله في الأسبوع القادم في الجملة الخامسة من هذه الآية الكريمة وهي قوله تبارك وتعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

بارك الله لي ولكم في ما علّمنا، ونسأله عزّ وجلّ أن يكون في موازيننا، وأن يكون سببًا لزيادة يقيننا. اللّهمّ آمين.

جزاكم الله خيرًا. السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

اللّقاء الرابع

الأربعاء: ٢١ ربيع الأوّل ١٤٤٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نّبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين. بسم الله، توكّلنا على الله، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

نبدأ متوكلين على الله في إكمال ما بدأناه في الكلام حول آية الكرسي، وهي الآية العظيمة الّتي لها الفضل العظيم، أخبرنا بهذا الفضل رسولنا الكريم -صلّى الله عليه وسلّم-، وأخبرنا بالمواطن الّتي يستحبُّ قراءة هذه الآية عندها. ومعلوم أنّ آية الكرسي أعظم آية في كتاب الله، حوت أسماء الله -عزّ وجلّ- وصفاته وأفعاله، فأهل الإيمان الذّين يطمئنُّون بذكر الله يقع في قلوبهم من قراءتهم لهذه الآية الطّمأنينة عندما يعلمون ما يقولون.

الطّمأنينة بذكر الله تقع حين يعلم الإنسان ما يقول.

❀ **مراجعة ما سبق:**

قد مررنا على ثلاث جمل من هذه الآية العظيمة؛ وتأملنا كيف أنّ النّفس تسكن إذا فهمت هذه المعاني العظيمة.

❀ **الجملة الأولى:** ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وفهمنا معنى اسم (الله) وعرفنا أنّ معناه: ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، يعني المستحق أن يكون الإله الّذي يُحَبُّ ويُعَظَّمُ، لما له من كمال الصّفات، ومن ثم هو الّذي يُرجى، وهو الّذي يُسأل، وهو الّذي إليه المعاذ والملاذ، فهو المعبود وحده، هو من تذلّ عند بابه الجباه، وتنكسر القلوب، فهو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

فكانت هذه الجملة الأولى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ قد اشتملت على كلمة التّوحيد الّتي هي مفتاح الإسلام ومفتاح الجنة، والله يقول: ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾(١) فهو الإله الّذي من أسمائه (الرّحمن) ذو الرّحمة الواسعة، و(الرّحيم) ذو الرّحمة الواصلة.

ثمّ أتى ما يدلّ عليها، على أنّ الله وحده هو المستحق أن يكون إلهي الّذي أطمئنُّ بذكره، في الجملة الثانية التي اشتملت على اسمين عظيمين لله:

❀ **الجملة الثّانية:** ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، فيكون معنى الكلام: الله هو الحيّ القيّوم. وهذان الاسمان من أعظم أسماء الله الحسنى حتّى قيل إنهما الاسم الأعظم، فإنهما يتضمّنان إثبات صفات الكمال لله -عزّ وجلّ- أكمل تضمّن وأصدقه، وعلى هذين الاسمين (الحيّ والقيّوم) تدور أسماء الله. وانظري كيف نؤمر بأن نطمئنَّ لله لأنّ من أسمائه الحيّ ومن صفاته الحياة الكاملة، فيقول لنا ربّ العالمين: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾(٢)، عليك أن تطمئنَّ لله، ولا تقلق.

---

(١) البقرة: ١٦٣.

(٢) الفرقان: ٥٨.

الله -سبحانه وتعالى- من صفته أنّه حيّ، حياته كاملة لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال، حياة متضمنة لكمال الصّفات. فهو وحده الّذي يُطمَأنُّ في التّوكل عليه، فاعتمد على الله وأسلم الأمور إليه، فهو الحيّ الّذي لا يثق المرء العاقل إلّا به؛ لأن الاعتماد على الأحياء المعرضين للموت لا يدوم وإن كان أحيانًا يفيد، وإنما الّذي يبقى ويدوم هو الله الحيّ، فتوكّل على الحيّ الّذي لا يموت، فله الحياة الكاملة المطلقة، وحياته مستلزمة لكمال صفاته.

فماذا يكون منك؟

يكون منك الاطمئنان حين تسمع ما يزعجك أو تقبل على شأن عظيم، تطمئنُّ بأنّ ربّك حيٌّ قريبٌ مجيبٌ سميعٌ بصيرٌ، قيّوم قائم عليك، فهو الحيّ الّذي لا يموت، فيحصل من ذلك ما يحصل من الطّمأنينة، وكلّ ما أثقل ظهرك وأعجزك ولم تستطع أن تقوم بأعبائه فلتعلم أنّ الله قائم عليك، يتولّى مصالحك ويصلح لك شأنك، لكن المطلوب منك أن تعتمد عليه.

الأحياء من الخلق -كما هي مسألة معلومة بالعقل ومنظورة بالعين- يموتون، ولكن حياة الله ليست كحياة غيره، فلا ضياع لمن توكّل عليه، كن مطمئنًا، هو الّذي يتولّى مصالحك، لا تلتفت إلى ما سواه؛ لأن كلّ ما سوى الله هالك.

اللّهمّ ارزقنا صدق التّوكل عليك لتطمئن نفوسنا ولا تنزعج، يا ربّ ارزقنا سرعة الإقبال عليك عندما تضيق علينا المضائق، واجعلنا في الرّخاء والسّراء مطمئنين بك يا ربّ العالمين. وكلّ من عاش الحياة ومرَّ بتجارب يعرف أنّ الخلق

يضيّعون الخلق بنسيان أو بموت، ولكن الله حيّ لا يموت فلا يضيّع المتوكل عليه أبدًا.

وكررت هذا المعنى لأننا نريد أن نوصل إلى أنفسنا الطّمأنينة في وسط كلّ هذه الاضطرابات والأمراض النّفسية والمخاوف والأمراض البدنية، وما يحصل في الاختلالات التّجارية، فليكن قلبك مطمئنًا بالله في وسط كلّ هذا؛ لأن الله أمرنا أن نتوكّل على الحيّ الّذي لا يموت، فحياته -عزّ وجلّ- باقية كاملة، لا تقبل الفناء أبدًا، بخلاف حياة غيره فإن حياتهم قابلة للزوال والفناء. اطمئن فالله هو القيّوم هو القائم بنفسه فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، وهو المقيم لغيره، فلا قيام لغيره إلّا بإقامته -عزّ وجلّ-.

الجملة الثالثة: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، وقد مر معنا أنّ هذا بيان لاسم الحيّ القيّوم وزيادة إيضاح، فالسِّنَة بمعنى النّعاس وهي الحالة الّتي تصيب الإنسان من فتور وارتخاء تسبق الاستغراق في النّوم. فالله نفى عن نفسه السّنة والنّوم وهذا يستلزم كمال حياته وقيّوميته كما مر معنا.

وقد مر في الحديث: «إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لا يَنامُ، ولا يَنْبَغِي له أنْ يَنامَ، يَخْفِضُ القِسْطَ ويَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهارِ، وعَمَلُ النَّهارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجابُهُ النُّورُ، لو كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وجْهِهِ ما انْتَهَى إلَيْهِ بَصَرُهُ مِن خَلْقِهِ»[١]. ومعنى ذلك أنّه -عزّ وجلّ- عظيم، وسبحات وجهه أي نوره وجلاؤه

(١) أخرجه مسلم (١٧٩).

وبهاؤه سبحانه وتعالى، ومن عظمته سبحانه أن حجابه النور «لو كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحاتُ وجْهِهِ ما انْتَهَى إلَيْهِ بَصَرُهُ مِن خَلْقِهِ».

❀ **الجملة الرّابعة:** ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، وهذه الآية أيضًا طمأنتنا مثلما طمأنتنا الجملة السّابقة، ربّنا لا ينام ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، فمتى أصابك ما أصابك، ومتى احتجت، ومتى رغبت؛ توجَّهت وسألت ورجوت لأنّه -سبحانه وتعالى- لا تأخذه سنة ولا نوم، وهو وحده الّذي يُرجى لأنّ ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ فجميع الكائنات في السّماوات وفي الأرض ملك لله وتحت قهره وسلطانه، فهو خالقهما ومدبّرهما والمهيمن عليهما، والإنس والجنّ والملائكة جميعًا عبيدٌ له.

❀ ❀ ❀

❀ **ونبدأ اليوم بالجملة الخامسة** وهي مما يزيدنا طمأنينة ويزيدنا فهمًا لملكه، الجملة السّابقة من الآية بيّنت لنا أنّ الملك كلّه لله وأنّه وحده المتصرّف فيه دون سواه، وإذا كان هو وحده المتصرّف فيه فهو الّذي يعطي ويمنع ويكرم ويهين ويثيب ويعاقب.

❀ هل ممكن أن يكون أحد قريبًا من الله فينفعنا عند الله ويشفع لنا ؟!

هنا نأتي لقضية تداخلت فيها الأهواء، وتداخلت فيها البدعة بالسّنة، ولكن سيكون شرحنا محدودًا فقط في حاجتنا وقت ما نقرأ هذه الآية كيف نوصل

لأنفسنا الطّمأنينة بها؛ لأن الّذي يعرف الله ويقول هذه الأذكار في كلّ وقت عليه أن يجعلها مادّة للطمأنينة والسكينة:

الله يخبرنا عن عظمته لكيلا نلتفت إلى غيره ولكي نطمئن به، ولكي يكون قلبنا مشغولًا دائمًا بذكره والتعلّق به، ولنعرف أنّه مهما كان هنا عظماء يتصرّفون في ملكهم الّذي يظنونه ملكًا مطلقًا لهم، فالله يخبرنا بأن الملك كلّه له، ومن تمام الملك لله يقول الله:

﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾

أي: من هذا الّذي يجرؤ على أن يشفع لأحد من غير إذن الله له بالشفاعة، فهنا الاستفهام: ﴿مَن ذَا الَّذِي﴾ المقصود به النّفي، أي لا أحد يشفع عنده إلّا بإذنه.

على ماذا يدلّنا هذا؟

يدلّنا على عظمة الله، وكبريائه، وجلاله. وهذا معناه أنّ الله الّذي أذن لنا أن نناجيه ونسأله ونطلبه، وأخبرنا أنّه قريب وأنّه مجيب، له العظمة المطلقة، حتّى أنّه لا أحد يستطيع أن يتجاسر ويدخل على الله ويطلب أن يشفع.

وفي حديث الشّفاعة المشهور عندما يطلب النّاس من الأنبياء أنّ يشفعوا لهم عند الله في الموقف العظيم فيتأخّر عن ذلك الأنبياء، ويحيلهم آدم على نوح، ثمّ يحيلهم نوح على إبراهيم عليهم السّلام جميعًا، ثمّ يحيلهم إبراهيم على موسى، ثمّ يحيلهم موسى على عيسى، ثمّ يحيلهم عيسى على سيّد المرسلين -صلّى الله

عليهم وسلّم أجمعين-، فيأتي رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- تحت العرش مع ما له من مكانة ليستأذن في الشّفاعة ويخرّ لله ساجدًا ضارعًا إليه، يريد من ربّنا الإذن له بالشّفاعة، ويُلهَم -صلّى الله عليه وسلّم- تحميدات وتقديسات لله -عزّ وجلّ- ما أُلهمها من قبل، يعلّمه الله من أسمائه وصفاته ما لا يعرفه من قبل، ثمّ يُنادى: «يا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وقُلْ: يُسْمَعْ لَكَ، وسَلْ تُعْطَهْ، واشْفَعْ تُشَفَّعْ»[١]، الله أكبر! حتّى رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- لا يستطيع أن يقول: يا ربّ أريد أن أشفع في كذا وكذا، وإنّما يسجد لله ويثني على الله وينكسر بين يدي الله حتّى يأتيه الإذن، فما أعظم الله وما أعظم ملكه وسلطانه!

وسبحان الله، حين فتح الله أبوابه للخلق في الدّنيا ويسّر عليهم سؤاله ورجاءه استهانوا بهذا الأمر، ولم يقضوا أعمارهم في رجائه، والتفتوا عن الله لغيره، فيقال لهؤلاء: لا يستطيع أحد أن يجلب لكم منفعة ولا يدفع عنكم مضرّة يوم القيامة: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، لا يستطيع أحد أن يتوسّط لكم من أجل جلب منفعة، في الدّنيا الله فتح أبوابه لخلقه لسؤاله، وأنتم في الدّنيا لستم في حاجة لأحد يكون واسطة بينكم وبين الله، «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ، يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ؟»[٢]، فليكن منا كمال التّعلّق به وتوحيده -سبحانه وتعالى-.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٥) ومسلم (٧٥٨).

ومرة أخرى نؤكد أنّ الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- الّذي هو أعظم جاهًا عند الله، مع هذا لا يشفع إلّا بإذن الله، وهذا يدلّ على كمال سلطان الله وكمال هيبته، وأنتم انظروا في الدّنيا كلّما كمل سلاطين الدّنيا يكونون أهيب وأعظم عند النّاس، فلا يتكلمون في مجلسه إلّا إذا تكلم، فهذا من عظمة الله.

وقد بيّن الله -عزّ وجلّ- للشفاعة شروطًا موطنها ظاهر، وهي أن يأذن الله ويرضى عن الشّافع ويرضى عن المشفوع له، وهذا في أبواب التّوحيد واضح ولكن المقصود هنا أن نعرف عظمة الله، فعندما نطلب من الله نطلب ونحن متأكدون أننا في المكان الصّحيح، متأكدون أنّ سؤالنا لمن يستحق السّؤال، متأكدون أنّ رجاءنا فيمن يملك حقًّا ويصرّف. فهذه الجملة تزيد ثقتنا في طريق التّوحيد، تزيد ثقتنا في الإقبال على الله، تزيد ثقتنا في صرف الطّلب له وحده والانصراف عن غيره. فهذه الجملة العظيمة بيّنت هذا المعنى العظيم.

❀ ❀ ❀

❀ ننتقل إلى **الجملة السّادسة** من جمل هذه الآية العظيمة وهي قوله تعالى:

﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾

وهنا تظهر لنا صفة عظيمة: علم الله المحيط بكلّ شيء جملة وتفصيلًا، علم الله بسائر الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها، لا يتحرّك متحرّك منها ولا يسكن ساكن إلّا بعلمه، ما أعظمك يا ربّ العالمين، ما أعظم ربّ العالمين.

وانظروا: ﴿يَعْلَمُ مَا﴾ وهي من صيغ العموم فهي شاملة لكلّ شيء سواء كان دقيقًا أو جليلًا، سواء كان ظاهرًا أو خفيًا.

ولذلك لما قال فرعون لموسى وهو يريد أن يكذبه في دعوته للتوحيد: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ قال موسى عليه السّلام: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾[1]: ﴿لَّا يَضِلُّ﴾ أي لا يجهل المستقبل، ﴿وَلَا يَنسَى﴾ أي لا ينسى الماضي، فمن هنا عُلم عظمة ربّ العالمين، وعظمة علمه وإحاطته بأحوال العباد -سبحانه وتعالى-.

ولا بدَّ أن نتوقف أمام هذا المعنى لنرى كم يبثُّ في نفوسنا الطّمأنينة عندما نسمع عن علمه!

انظروا كيف الملائكة المعظّمة لله لما أخبرها الله -عزّ وجلّ- أنّه سيخلق آدم، وهي تعظّم الله وتكره الفساد، وقد علمت بسبب ما أنّ هذا الإنسان متمكّن من الصّلاح ومتمكّن من الفساد، علمت -والله أعلم كيف علمت- بأنّ الله هداه النّجدين، علمت -والله أعلم كيف علمت- أنّ هذا الإنسان سيكون قادرًا على الخير والشّر: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[2]، فلمّا علمت ذلك وهي معظّمة لربّ العالمين وكرهت الفساد كان منها قول سببه تعظيم الله وليس سببه الاعتراض، هذه الملائكة الكرام لا تعترض على الله: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

---

(١) طه: ٥١-٥٢.

(٢) الشمس: ٧-٨.

قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ثمّ لمّا علّم آدم -سبحانه وتعالى- وعرض على الملائكة أسماء كلّ شيء قالوا: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَاۖ إِنَّكَ أنت الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[1].

فلتكن مطمئنًا أيّها الإنسان بأن كلّ الأقدار الّتي تجري عليك تجري بعلم الله وكلّ ما يجري عليك كما أنّه بعلمه فهو بحكمته

لا يتحرّك شيء إلّا بعلمه، ولا يسكن شيء إلّا بعلمه، ولا يتسلّط عليك أحد إلّا بعلمه، لاحظوا: ﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أنت الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾، ﴿الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ فلا يكن في قلبك وقت ما تضيق بك الأمور إلّا الثّقة أنّ الله مطّلع، وأنّه يختبرك في الحياة، وأنّه يعلم ما يصلحك، ويعلم الطّريق الّذي يوصلك، فتأتي أمور تدفعك إلى هذا الطّريق في أوّلها شرٌّ وفي آخرها خير، فليكن منك الدّعاء والرّجاء، فعلم الله محيط بجميع خلقه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[2].

الله العليم:

- يعلم الأمور المتقدّمة والمتأخّرة.
- ويعلم جليل الأمور وحقيرها وصغيرها وكبيرها.
- يعلم ظواهر الأشياء وبواطنها وغيبها وشهادتها.
- يعلم ما يعلمه الخلق منها ويعلم ما لا يعلمه الخلق.

---

(١) البقرة: ٣٠-٣٢.

(٢) الأنبياء: ٤.

- يعلم ما تحت الأرض السّفلى كما يعلم ما فوق السّماوات العلى.
- يعلم جزيئات الأمور وخفايا الصدور
- يعلم ما وقع ويقع في أرجاء العالم.

فهو الّذي أحاط علمه بجميع الأشياء في كل الأوقات، ولا يعرض أبدًا لعلمه خفاء ولا نسيان: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾[1]، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾[2].

ومن أعظم ما يشير إلى علمه آية سورة الأنعام: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[3] هذه الآية العظيمة من أعظم الآيات تفصيلًا لعلمه المحيط، وأنّ علمه المحيط شاملًا للغيوب كلّها الّتي يمكن للخلق تصوّرها وأمور لا يمكن للخلق تصوّرها، وإذا كان الله -سبحانه وتعالى- بهذه الصّفة في العلم فكيف لا يفوّض الأمر إليه! وكيف لا تطمئن النّفوس به وعند ذكره!

فكونوا معي الآن في فهم آية سورة الأنعام لتعلموا عظمة ربّ العالمين:

- ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ وهذا معناه كأنّ الغيب عبارة عن خزائن ولها مفاتيح، ولا أحد يعلم ما في هذه الخزائن إلّا الله، فتصوّروا كيف أنّ

---

(١) طه: ٧.

(٢) غافر: ١٩.

(٣) الأنعام: ٥٩.

الله أخبرنا أنّ الغيب خزائن وله مفاتح، فهو الّذي عنده هذه المفاتح، لا يعلم أحدٌ الغيب ولا يشارك اللهَ -عزّ وجلّ- أحدٌ أبدًا: ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾.

وهنا ملاحظة قبل أن ننتقل: إذا علمنا أنّ الغيب لا يعلمه إلّا الله يجب أن نعرف أنّ جميع الطّرق الّتي يراد بها التّوصل إلى شيء من علم الغيب غير الوحيّ هي من الضّلال المبين، العرّاف والكُهّان والأبراج كلّ هذا من الضّلال المبين.

ومفاتح الغيب قد وردت في سورة لقمان: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1] هذا شأن ثمّ يأتينا شيء من التّفاصيل.

- ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ تصوّري ما في البر؛ ربّنا بدأ بشيء نحن ممكن أن ندركه وهو البرّ، أي: سطح الأرض الّذي يمشي فيه الحيوان والإنسان، الله يقول لنا إنّه يعلم ما في البرّ، وأنت ممكن تقولين: وأنا أعلم أيضًا ما في البرّ، ولكن السّؤال: هل يحيط علمك بما في البرّ؟! هل علمك يحيط بهذا الّذي في البرّ من قرى ومدن ومفاوز وجبال وتلال، وما به من حيوان، وما به من إنسان، وما به من نبات، وما به من معادن، هل قلبك يستطيع أن يحيط بهذا علمًا؟! لا والله، لا يستطيع.

---

(١) لقمان: ٣٤.

وانظري بمثله للبحر؛ عقولنا لا تستطيع أن تحيط بأحوال البحر، فعجائبه أكثر، وطوله وعرضه أعظم، وما في البحر من حيوانات ومن أجناس المخلوقات أعجب، سبحان الله!

- ثمّ الله -عزّ وجلّ- يُعجِّبنا أكثر من علمه، من إحاطته بكلّ شيء، فيقول لنا عزّ وجلّ: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ هذا النّفي للتعميم، ليس هناك أي ورقة تسقط من أي شجرة في أنحاء الأرض كلّها ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾، آمنا بالله! وأنت يكون عندك في بيتك نباتات للزينة أو يكون في مزرعتك كذا من الأشجار لا تدري كم عددها، ولو علمت بعدد الأشجار لا تعلم مهما كان عدد الأوراق الّتي فيها، فكيف تدرك ما سقط منها! سبحان ربّنا العظيم.

- ثم ذكر الله -عزّ وجلّ- ما هو أدقُّ من ذلك: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾ يعني وما من حبة ولو كان في أقصى باطنها ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾: إلّا في كتاب موضَّح أحواله وأعيانه وكلّ أموره، ومتى سينزل عليه المطر، ومتى سيخرج، وهل سيثمر أو لا يثمر، كلّ شيء يعلمه الله.

فإذا كان كلّ شيء يعلمه الله فكيف يطمئن القلب لغير الله؟! كيف يسأل القلب ويتّجه العبد لغير الله؟! العبد في مثل هذه المقامات عندما يسمع عن هذه العظمة له -سبحانه وتعالى- لا بدَّ أن يكون عظيم الطّمع في الله، في حال الخوف، وفي حال الإقبال على أمر مجهول، وفي حال تغيّر أمور الدّنيا وتبدّل أحوالها، ولا يعرف الإنسان ماذا يكسب غدًا، لا بدَّ في مثل هذه الأحوال أن يكون العبد عظيم الطّمع في الله؛ لأن الله هو الّذي يعلم مستقبل الأمر، فيرجو من الله أن

يكون أحسن مستقبل وأحسن حال، وأن يكون في كل أمر سيقبل عليه موّفقًا بالغًا المراد.

❁ **الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصّدور**، فلا تعامل غيره، ولا تفكّر في أن تخادع ربّ العالمين، في أن تخفي في قلبك من النّيات ما الله بها عليم ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، فلتكن تقيًّا، ترقب ربّ العالمين المطّلع على كلّ شيء.

❁ **وهذه الآية تطمئنك أيضًا عندما تفعل الخيرات وتترك المنكرات**، يقال لك: الله مطّلع على ما في قلبك، وسيعاملك بما في قلبك عندما تفعل الخير ولا تجد تقديرًا من الخلق، يقال لك: اطمئن ولا تطلب الخلق، بل كن خفيًّا تقيًّا نقيًّا، لا تعمل العمل الّذي تتطوّع به لأجل أن يقال: فَعَل! بل عامِلْ من يعلم ما في نفسك، عامِلْ من هو مطّلع على سرِّك.

وليكن لك معه خبيئة عمل، وليكن بينك وبين الله أسرار، وليكن بينك وبين المطّلع على فؤادك مناجاة لا تنقطع، فلتكن دائمًا تناجيه بفؤادك، وتسأله وترجوه، وتطمئن نفسك بذكره.

اطّلاع الله على ما في أفئدة الخلق من أعظم ما يريح المخلصين والباذلين، فأنت تسدّين الثّغرات ولا أحد يقدّر لك ذلك من الخلق، ولكن المطّلع -سبحانه وتعالى- يعلم ما تفعلين، ويعلم إرادتك أنك تسدّين الثّغرة لله سبحانه فيسدّ عنك كلّ خلل، الله يطّلع على رغبتك في نشر الحقّ فيُهيّئ لك الأسباب، الله يطّلع على

رغبتك الصّادقة في حفظ القرآن فيعينك على ذلك بالأسباب، الله يطّلع على حبّك لصلاح أبنائك ولصلاح مجتمعك فيريك ما يُبهج فؤادك ولو بعد حين.

تعملين العمل لله ثمّ يأتي أحد يقول: يا مرائية، يا منافقة، فيطمئنُّ قلبك أنّه يكفيك أنّ الله مطّلع على ما في قلبك، الحمد لله أنّ الله موصوف بهذه الصّفة، الحمد لله أنّه مطّلع على قلوبنا، الحمد لله أنّه -سبحانه وتعالى- يعلم ما تسّره نفوسنا، كم هذه نعمة عظيمة تيسّر لنا الطّمأنينة، عندما نعمل تيسّر لنا الطّمأنينة، عندما نتوب تيسّر لنا الطّمأنينة، يعلم ندمنا، عندما نرجوه ونناجيه، عندما نظهر فقرنا له -سبحانه وتعالى-. كلّ هذا يأتي بالطّمأنينة، وعندما نعرف أنّه يعلم ما بين أيدينا وما خلفنا فنطمئن لأقداره، ونطمئن لاختياره فتحسن منا استخارته، وأيًّا كانت النّتائج نعلم أنّ هذا من فضله.

فاللّهمّ اجعلنا بك مطمئنين، ولك راغبين، وعن غيرك مصروفين. اللّهمّ اجعلنا من المخلصين الموحدين، اللهمّ أحينا على الإيمان وأمتنا على الإيمان واحفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن. اللّهمّ آمين.

نقف عند هذه الجملة، وإن شاء الله في اللّقاء القادم نكمل الجملة لسّابعة، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾.

اللّقاء الخامس

الأربعاء: ٢٨ ربيع الأوّل ١٤٤٣هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على نّبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا زلنا بفضل الله نتدارس أسماء الله -عزّ وجلّ- وصفاته الواردة في كتابه وفي سنّة نبيه محمّد -صلّى الله عليه وسلّم- من خلال مدارسة ما ورد من أذكار الصّباح والمساء الّتي أمرنا بالاهتمام بها والعناية بها، وأمرنا أن نكون على هذا الورد العظيم منتظمين. نبدأ مستعينين بالله في هذه الجملة السّابعة من جمل هذه الآية العظيمة.

كنا مررنا على الجملة الأولى وهي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ وعرفنا معنى اسم (الله) الاسم الأعظم، الاسم الجامع، الاسم العلم على الله. وأكرر عليكم معناه وهو: ذو الألوهية وذو العبودية على خلقه أجمعين. كانت هذه الجملة الأولى وتبيّن لنا انفراد الله -عزّ وجلّ- بالألوهية، أنّه وحده الّذي يستحق المحبّة والتّعظيم ولذلك فهو إلهنا، ويستحق من ثمّ العبودية والخضوع والاستسلام له.

الجملة الثّانية من الجمل العشر اشتملت على اسمي: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ وهذان الاسمان من أعظم أسماء الله الحسنى.

الجملة الثّالثّة اشتملت على جملة منفية عن الله: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ نفي السّنة والنّوم عن الله ومن ثمّ إثبات كمال حياة الله وإثبات قيومية الله، النّفي يدلّ على الكمال؛ لذلك لا بدَّ أن ننفي الصّفة ونثبت كمال ضدها؛ ضد السّنة والنّوم- الحياة والقيّومية.

ثم أتت الجملة الرّابعة: ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ جميع الكائنات في السّماوات وفي الأرض والسماوات والأرض ملك لله -عزّ وجلّ-.

تأتي الجملة الخامسة والسادسة: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ الدّالة على كمال ملكه وأن لا أحد يستطيع أن يتصرف في هذا الملك ولا بشيء حتّى بالشّفاعة؛ لذا الواجب أن لا يتوجّه القلب في التّعلّق ولا في الرّجاء ولا في الطّلب إلّا لله، فهو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم.

❁ اليوم نبدأ في **الجملة السّابعة** وهي قوله تعالى:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

والمقصود بهذا: أنّه لا يطّلع أحد من خلق الله سواء كان ملك مقرب أو نبيّ مرسل أو غيرهما على شيء من علم الله إلّا بما أراد الله -تبارك وتعالى- اطلاعه على ذلك وأطلعه عليه؛ ولذلك قال ربّ العالمين: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾[١] فالخلق لا يحيطون علمًا بالله ولا بكماله ولا بجلاله ولا بعظمته. وانتبهوا لهذا المعنى المهم

---

(١) طه: ١١٠.

لأنّه في الجملة الثّامنة سيأتي الخبر عن كرسيّ الله -سبحانه وتعالى- وهذا من الأمور الّتي لا يمكن للإنسان أن يحيط بها علمًا.

إذًا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ وهذا المعنى نفسه في سورة طه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾.

فالخلق لا يستطيعون أن يحيطوا بأي شيء علمًا إلّا بشيء قد علّمهم الله إيّاه من طريق الغيب.

- إمّا عن طريق الوحيّ الّذي هو طريق الرّسالة.
- وإمّا في أمور أخرى تتصل بالحياة.

وهذه الأمور الّتي تتصل بالحياة الدّنيا ويكتشفها النّاس يجب على الإنسان عندما يسمع عن هذه الاكتشافات إن كانت حقيقية وليست أوهامًا يجب أن يعلم أنّ هذا مما علّم الله، فالله -عزّ وجلّ- يعلم عباده بما شاء من طرق، يعلّمهم وهم ينتفعون بهذا العلم بطرق مختلفة كلًّ على حسب ما معهم من مبادئ وأخلاق وقيم، ولكن في النّهاية علم الله تعالى لا يمكن أن يحيط به أحد لأن الله لا يعطيه إلا لمن شاء.

وهذا يدخل أيضًا في العلم المادي، علم الله المادي الّذي يكشفه للبشر جيل بعد جيل هذا العلم لكلّ جزء منه صغيرا كان أو كبيرا وقت حدده الله. فيأتي في صدور القوم وفي نفوسهم الاهتمام بهذا الشّيء فيجتهدوا للوصول إليه فيجري الله على أيديهم اكتشافه، وابحث عن كثير من الاكتشافات جاءت أحلامًا

لأصحابها، جاءتهم في الحلم، ومن أشهر هذه الأشياء ما يسمونه بالجدول الدّوري، الّذي يدرسونه في الكيمياء، هذا الجدول الدّوري وترتيبه وترتيب العناصر فيه جاء لصاحبه في الأحلام! وليس هذا فقط وإنما نحن لسنا في مجال أن نعدد هذا الكلام ولكن أنت ابحث وستجد، فهذا يفهمك أن حتّى هذه العلوم الله -عزّ وجلّ- يجري كشفها للخلق. كأن هناك موعد لميلاد هذا العلم، مثل موعد ميلاد أي شيء في الكون، مثل موعد ميلاد أي مخلوق في الكون، إذا أتى هذا الموعد يخرج من علم الله إلى علم البشر، ويفتح الله لهم من العلم ما شاء لحكمة هو أعلم بها -سبحانه وتعالى- في تيسير هذا الكون وفي وصول الخلق لآيات جديدة تعلمهم عظمة الله وبالنسبة للباقي ممكن أن يكون نوع اختبار وابتلاء عليهم.

الخلق يجدون في كلّ شيء حولهم في الكون رزقًا، رزقًا بعد رزق، في السّماء يجدون رزقًا، في الأرض يجدون رزقًا، في الهواء يجدون رزقًا، وهذا كلّه من رزق الله المسخّر للإنسان، من جوف الأرض يجدون أرزاقًا، من سطح الأرض يجدون أرزاقًا، من الماء يجدون أرزاقًا، من أعماق الماء يجدون أرزاقًا، من أشعة الشّمس يجدون أرزاقًا، من جوف الشّمس يجدون أرزاقًا، من أعماق الأرض حتّى من عفنها يكشفون علمًا دواءً وترياقًا وهذه حكمة الله العظيمة -سبحانه وتعالى-.

إذا فهمنا هذا استسلمنا لربّ العالمين وزاد استسلامنا في أنّه هو -سبحانه وتعالى- يعلم عباده فلا يغترّ أحد بالعلم.

وهذا أيضًا يزيدنا يقينًا أنّ العبادة إنما تكون لربّ العالمين ليس لأحد غيره -سبحانه وتعالى-.

❀ الآن تأتينا **الجملة الثّامنة** من جمل هذه الآية العظيمة وهذه الجملة الّتي سميت الآية بها وهي قوله تعالى:

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾

هذه الجملة هي الّتي سميت الآية كلها باسم كلمة منها فقيل لها: آية الكرسيّ.

وهنا سنبدأ في بيان عقيدتنا في أمرين متصلين معًا:

- عقيدتنا في الكرسيّ.
- وعقيدتنا في العرش.

هنا في هذه الآية الكريمة دلّت على أنّ كرسيّ الله وسع السّماوات والأرض، فنؤمن أنّ الكرسيّ هو أعظم المخلوقات بعد العرش. إذًا هناك كرسيّ لله -عزّ وجلّ- وهناك العرش، مخلوقان مختلفان. والكرسيّ بين يدي العرش، وهو موضع القدمين، وهذا قد نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: "الكرسيّ موضع القدمين، والعرش لا يقدر أحد قدره".

إذًا عقيدة أهل السّنة والجماعة أنّ هناك الكرسيّ وهناك العرش وليس كلاهما شيء واحد، الكرسيّ بين يدي العرش، الكرسيّ موضع قدم الرّب.

نأتي للكلام عن **العرش**: العرش خلق عظيم من خلق الله، بل هو من أعظم مخلوقاته، والله هو الّذي وصفه بأنّه عظيم، فهو حقًّا عظيم، فقال -عزّ من قائل-: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[١].

وأيضًا وصفه الله بأنّه عرش مجيد، فقال في سورة البروج -سبحانه وتعالى-: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾[٢]، على قراءة الجر (المجيدِ)[٣].

والعرش مع عظمته فهو مخلوق مربوب، فقال -عزّ وجلّ-: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[٤] ربّنا هو ﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ﴾ خالقهما وموجدهما ومنشئهما وموجدهما من عدم، وهو ﴿وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ خالق هذا العرش وموجده من العدم.

وقد ورد في الحديث أنّه -سبحانه وتعالى- خلق عرشه على الماء، في الحديث: (كانَ اللَّهُ ولَمْ يَكُنْ شيءٌ قَبْلَهُ، وكانَ عَرْشُهُ علَى المَاءِ)[٥] وهذا الماء سبحان الله جعل الله كلّ شيء منه حيّ.

(١) النمل: ٢٦.
(٢) البروج: ١٥.
(٣) قال الطبري رحمه الله في تفسيره: "واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿الْمَجِيد﴾، فقرأته عامة قرّاء المدينة ومكة والبصرة وبعض الكوفيين رفعًا، ردًّا على قوله: ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ على أنه من صفة الله تعالى ذكره، وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة خفضًا، على أنه من صفة العرش. والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.".
(٤) المؤمنون: ٨٦.
(٥) أخرجه البخاري (٧٤١٨).

أيضًا **نعتقد** أنّ هذا العرش له قوائم، قال -صلّى الله عليه وسلّم-: (النَّاسُ يَصْعَقُونَ يَومَ القِيَامَةِ، فأكُونُ أَوَّلَ مَن يُفِيقُ، فَإِذَا أنَا بمُوسَى آخِذٌ بقَائِمَةٍ مِن قَوَائِمِ العَرْشِ)[1] والعرش فوق السّماوات والله -سبحانه وتعالى- فوق العرش.

وهذا العرش العظيم تحته من الكنوز الرّبانية ما لا يقدر قدره إلّا الله، فقد قال -صلّى الله عليه وسلّم-: (أُعطيتُ هذهِ الآياتِ من آخرِ سورةِ البقرةِ من كنزٍ تحتَ العرشِ لم يُعطَها نبيٌّ قبلي)[2] وأيضًا في حديث أبي ذر: (قال أمرني خليلي -صلّى الله عليه وسلّم- بسبع) وذكر منها : (وأمرني أن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلّا بالله، فإنهن من كنز تحت العرش).

ونؤمن أن الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- يسجد تحت العرش يوم القيامة حتّى يشفع الشّفاعة العظمى، ففي حديث الشّفاعة الطّويل أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: (فأنطَلِقُ فَآتي تَحْتَ العَرْشِ، فأقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عزَّ وجلَّ)[3].

ونؤمن أيضًا أن أرواح الشّهداء تأوي إلى قناديل معلقة في ظل العرش، وهذا قد ورد في حديث النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: (جعلَ اللَّهُ أرواحَهم في أجوافِ طَيرٍ خُضرٍ تردُ من أنهارِ الجنَّةِ وتأكلُ من ثمارِها وتأوي إلى قناديلَ من ذهبٍ معلّقةٍ في ظلِّ العرشِ) سبحان الله!

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٩٨).

(٢) صححه الألباني.

(٣) أخرجه البخاري (٤٧١٢).

فهذه أمور متصلة بالعرش وعلاقتنا بها الآن في آية الكرسيّ أنّ الكرسيّ بين يدي العرش، والكرسيّ (موضع قدم الرّب) كما ذكر ابن عباس.

الله -سبحانه وتعالى- فوق عرشه، فوق سماواته، وهو معهم بعلمه -سبحانه وتعالى-، يحيط بهم علمًا. أيضًا نؤمن في الأمور المتصلة بالعرش نؤمن أنّ العرش تحمله الملائكة، كما قال الله -عزّ وجلّ- في سورة غافر: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[1] وقد أخبر النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- عن بعض صفات حملة العرش فقال: «أُذِنَ لي أن أحدِّثَ عن ملَكٍ مِن ملائِكَةِ اللَّهِ تَعالى مِن حَمَلةِ العَرشِ إنَّ ما بينَ شَحمةِ أذُنِهِ إلى عاتقِهِ مَسيرةُ سَبعِمائةِ عامٍ»[2].

ونؤمن أيضًا أن الملائكة تحفّ بعرش الرّحمن: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾[3].

ونشهد أن الله مستوٍ على عرشه استواء يليق بجلاله، ونؤمن: «إنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتابًا قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ الخَلْقَ: إنَّ رَحْمَتي سَبَقَتْ غَضَبِي»[4] كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش. وقد قال الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-: «فإذا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فإنَّه أوْسَطُ الجَنَّةِ، وأَعْلَى الجَنَّةِ، وفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، ومِنْهُ تَفَجَّرُ أنْهارُ الجَنَّةِ»[5] يعني عرش الرّحمن سقف جنّة الفردوس، نسأل الله من فضله.

---

(١) غافر: ٧.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٧٢٧).

(٣) الزمر: ٧٥.

(٤) أخرجه البخاري (٧٥٥٤).

(٥) أخرجه البخاري (٧٤٢٣).

نحمد الله الّذي علّمنا هذه العقيدة العظيمة، وجعلنا مستسلمين لربّ العالمين؛ لأن كما سمعنا نحن لا نحيط بشيء من علمه، ولا نحيط به -سبحانه وتعالى- علمًا، وإنما كما أخبرنا الله -سبحانه وتعالى- في كتابه وكما أخبرنا عن الله رسوله -صلّى الله عليه وسلّم- سمعنا وأطعنا وقبلنا الأخبار وصدقنا، ونحن في هذا كلّه نؤمن أنّ هذا الاستواء على العرض استواءً يليق بجلاله، ونؤمن أنّ الله عندما يخبرنا بخبر، فالواجب علينا تصديقه والإيمان به وإجراؤه على ظاهره؛ لأن لا أحد أعلم من الله بنفسه -سبحانه وتعالى-، ولا أحد أصدق قيلًا وأحسن حديثًا منه -سبحانه وتعالى-، ولا أحد أعلم بالله بعد الله إلّا رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، ولا أحد أحسن قيلًا ولا أحسن حديثًا بعد الله إلّا رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-.

إذًا نحن نؤمن كما ذكر عن الإمام مالك لما سئل عن الاستواء: كيف؟ وهذا سؤال لا يصلح! عليك أن تعلم أن من صفات الله أنّه استوى على العرش، نعم، ولكن لا تسأل عن الكيف لأن كما قال الإمام مالك: "الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالِاسْتِوَاءُ مِنْهُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ" السّؤال عن (كيف؟) بدعة. وهذه من ألاعيب الشّيطان على الإنسان أن يغرّه بسؤال: (كيف؟) فالواجب على أهل الإيمان أن يؤمنوا بما جاء في القرآن، وأن يتأمّلوا في عظمة ربّ العالمين، ولا يشغلوا عقولهم بأمور لن يدركها العقل! فمن احترام العقل أن لا يوضع في مكان لا يمكنه أن يعمل فيه، فهذا من احترام العقل؛ لذا لا نكون مثل الجاهلين الذّين يقولون: لا أريد أن أسمع وأخاف أن يقع في قلبي شيء! نقول: اسمع وتعلم عن الله وغِظ الشّيطان وتعلّم صفات الرّحمن وإذا

هاجمك الشّيطان بأي تمثيل أو تفكير في الصّفات فقل: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾[1] ، قل: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ (١) ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ (٢) لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ (٣) وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾[2] ادفع عنك الشّيطان إلى أن يستقر الإيمان، نعوذ بالله من الشّيطان، ونعوذ بالله من الجهل.

الجهل خطير وكونوا على كلام الإمام مالك: "الْكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالِاسْتِوَاءُ مِنْهُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدْعَةٌ". السّؤال عن كيف.

هنا أؤكد لكم ما علاقتنا بالكلام عن العرش؟ لا بدَّ أن نتكلم عن العرش ونحن نتكلم عن الكرسيّ؛ لأننا نؤمن أنّ الكرسيّ هو أعظم المخلوقات بعد العرش، وأن الكرسيّ بين يدي العرش، وهو موضع القدمين كما قال ابن عباس: "الكرسيّ موضع القدمين". والعرش لا أحد يقدر قدره. وقد ورد عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في الحديث، وهذا الحديث فيه نظر في صحته ولكن يستأنس به: «ما السَّماواتُ السَّبعُ والأرَضينُ السَّبعُ عندَ الكُرسِيِّ إلا كحَلقَةٍ مُلقاةٍ في أرضِ فلاةٍ»[3] تصوروا هذه السّماوات السبع العظيمة الّتي فيها كل هذه الكواكب والنّجوم وكلّ هذه الأفلاك «ما السَّماواتُ السَّبعُ والأرَضينُ السَّبعُ عندَ الكُرسِيِّ إلا كحَلقَةٍ مُلقاةٍ في أرضِ فلاةٍ» مثل حلقة صغيرة ألقيت في صحراء.

يقول النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: «وإنَّ فضلَ العرشِ على الكُرسِيِّ كفَضلِ الفلاةِ على تِلكَ الحَلقَةِ» يعني السّماوات السّبع مقارنتها بالكرسيّ كأنها حلقة

---

(١) الشورى: ١١.

(٢) الإخلاص: ١-٤.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٧).

ألقيتها في الصّحراء الكبيرة، فماذا تكون الحلقة بالنسبة للصحراء الكبيرة؟! لا شيء! السّماوات السّبع على عظمها ولكنها لا شيء بالنسبة للكرسيّ، والكرسيّ بالنسبة للعرش بنفس الطّريقة.

فهذا دليل عظمة ربّ العالمين، والواجب علينا أن نتلقى هذه النّصوص على ظاهرها، ولا نفكر في الكيفية، بل نفكر في عظمة الخالق -سبحانه وتعالى- وخصوصًا مع هذه الأخبار الّتي تدلّ على عظمته -سبحانه وتعالى-.

الجملة التّاسعة وهي قوله تعالى:

﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾

وهنا الصّفة المنفية عن الله هي صفة التّعب في حفظ السّماوات والأرض، وهذا النّفي يستلزم كمال قدرة الله، معنى هذا أننا ونحن نقول: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَا﴾ ننفي كما نفى الله عن نفسه المقدّسة أن يصيبه تعب من حفظ السّماوات والأرض، كما أنّه -سبحانه وتعالى- لم يصبه تعب في خلق السّماوات والأرض، مثلما قال: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ﴾[1] وهذا فيه رد على اليهود قبحهم الله، الّذين يزعمون في أوّل صفحة من التّوراة الّتي حرفوها بأيديهم بأنّ الله تعب من خلق السّماوات والأرض واستراح يوم السّبت! تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا. بل له القدرة التّامة وأمره -سبحانه وتعالى- كن فيكون.

(١) ق: ٣٨.

وقياس ربّ العالمين على المخلوقين سوء أدب من المخلوقين، ربّ العالمين العظيم المجيد -سبحانه وتعالى-، الّذي بيده كل شيء، كيف وهو قد وصف نفسه لما قال في سورة الذّاريات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (٥٨)﴾[١] -سبحانه وتعالى-.

الله لا يتعبه حفظ السّماوات والأرض، بل إنه أمر هين لا يذكر، وهو -عزّ وجلّ- قد جعل النّاس على طبيعة تناسبهم والناس يحاولون أن ينازعوا ربّ العالمين في هذه الصّفة العظيمة، يريدون أن ينازعوا ربّ العالمين في كمال القدرة. ولذلك لاحظوا لما افتتن الخلق بأنفسهم وظنّوا أنّهم بالعلوم التّجريبية والعلوم الدّنيوية قد وصلوا إلى شيء من معرفة سنن الله في الكون فمن أجل أن يفسدوا عقائد النّاس ويصلوا إلى ما يريده الشّيطان أخرجوا للناس فكرة أن هناك (سوبر مان)! أي الرّجل المختلف بالطاقة المتوقدة الّذي لا يتعب، ويريدون بهذا منازعة ربّ العالمين في كمال صفاته؛ ولذلك الإنسان لا بدَّ أن يعرف من هو، وما حاله، وما قدره، ولا يتعدى قدره.

هذا ما تيسّر لنا اليوم، ويبقى علينا في هذه الآية الكريمة الجملة العاشرة وهي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾. إن شاء الله تكون هي موضوعنا في اللّقاء القادم.

جزاكم الله خيرًا، السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) الذاريات: ٥٦-٥٨.

اللّقاء السّادس

الأربعاء: ٥ ربيع الآخر ١٤٤٣هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، الحمد لله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا كما يحبُّ ربّنا ويرضى، الحمد لله الّذي علّمنا، الحمد لله الّذي أنزل كتابه على رسوله فعلّمنا عن نفسه المقدّسة، الحمد لله الّذي تفضّل علينا بهذا العلم الّذي نحن في أمس الحاجة إليه، بل ما خلق الخلق إلّا لهذا الغرض؛ لغرض أن نعرف الله، ونعرف عظمة الله، ونعرف ما له من صفات كمال وجلال، فينعكس هذا علينا فنكون في غاية الذّل والانكسار لربّ العالمين.

الحمد لله الّذي تفضّل علينا بآية الكرسيّ؛ آية عظيمة، آية عرفتنا بربّنا العظيم المستحق لكلّ جلال وكمال، ومن هذا المنطلق العظيم لا بدَّ أن نشكر ربّ العالمين على أن يسّر لنا العلم بأسمائه وصفاته، وعلى أن سهّل أسبابًا لهذا العلم، ما أعظم منّة الله بهذا العلم، وما أعظم منّة الله بتسهيله. لو يعلم الخلق كم للربّ عليهم من فضل في تعريفهم بنفسه المقدّسة ما تركوا الانكباب على كتاب الله ليتعلموا عن الله، لو علموا عظمة الله لكانوا استقاموا على الطّريق وعرفوا حقّ الله على العبيد، ولكن لنعلم أن الجهل بالله هو الّذي أدخل النّاس في أعظم أبواب الضّلال! اليوم أعظم أبواب الضّلال: عدم معرفة حقّ الله على العبيد، لماذا؟ لأنّ النّاس يجهلون من هو الله. كثير من النّاس يمكن أن يعرف

حقّه أو ما يسمونه بـ(حقوق الإنسان) ولكنه لا يعلم ولا يعقل أنّ لله -عزّ وجلّ- أعظم الحقوق، بل هي الأساس، فحقّ النّاس ما أتى إلّا من وراء حقّ الله.

لاحظوا أنّ الإنسان مثلًا لو يريد أن يتصدق وأدى هذه الصّدقة للناس ولم يكن مخلصًا في ذلك، فيرائي الخلق فهذا ممن تسعرّ به النّار! فحقّ الله هو أعظم الحقوق، وهو أساس الحقوق.

ولو أردنا مثلًا أن نفكر في اسم من أسماء الله مثل اسم (العفو) لو أردنا أن نفكر في هذا الاسم ونرى مسألة عفو الله وكيف أنها من الأمور الّتي نطلبها من ربّ العالمين، ومن الأمور الّتي نسألها ربّ العالمين دائمًا وخاصّة في ليلة القدر كما سألت عائشة -رضي الله عنها-: لماذا نسأل الله العفو خاصّة؟ لماذا في ليلة مثل ليلة القدر نسأل الله العفو؟ لا يسأل الله العفو من قلبه إلّا إنسان عرف من هو الله؛ لأن من عرف الله وعظمة الله، والفرق الهائل بين حقّ الله وحقّ العباد، ومن عرف حقّ الله على خلقه، عرف أنّه لا يمكن أن ينجو إلّا إذا عفا الله عنه.

من عرف الله عرف جلاله فخاف من عقابه، ومن عرف الله وعرف النّاس عرف أنّ الخلق لا يملكون أن يقضوا على بعضهم، فإن كان لك خصم ولم يعفُ عنك ربما حصل من الأمور الدّنيوية ما يلزمه العفو عنك، ثمّ أنّه مهما بلغ من قدرته فشأن عفوه لا يتجاوز أمر الدّنيا، ولو عفا الله عنك لتحمل حقّ هذا الإنسان عنك.

اعلموا أنّ باب معرفة الله أعظم باب، هذا الباب يسد علينا مشاكل كثيرة، الشخص الذي لا يفهم هذا الأمر ويكون قد دخل في الفكر الدّنيوي يحصر باب الحقوق في حقوق البشر، بل يقرأ الدّين ويقرأ المعاملة بين العباد وبين ربّهم كأنّه يناقش الحقوق الّتي بين الإنسان وبين الإنسان الّذي مثله!

مثلًا من الأمثلة الواضحة -وهذا الّذي سيدخلنا على اسم (العليّ)- يعتقد ضعفاء الدّيانة والمقبلون على الدّنيا إقبالًا تامًا يعتقدون أنّه عندما نقول إنّ الله يستحق العبادة، وأنّه هو المستحق للألوهية والعبودية يظنّ أن هذا افتقار من الله لخلقه! دائمًا يسألك سؤال مقلوب يقول لك: هل يحتاج الله لعبادتنا؟! وهذا ما فعله ولا فكر فيه إلّا لأنّه يفكر في الذات العليّة كما يفكر في هؤلاء الخلق أنداده المتساويين معه في البشرية! ما انطلق هذا الكلام إلّا من هذا الباب. هو كيف يفكر؟ يفكر بالطّريقة العكسية.

المفترض أن نفهم فقرنا، نحن مفتقرون إلى الطّعام نأكله لكي نعيش، والشراب نشربه لكيلا نموت، والنوم ننامه لكيلا نهلك، بل نحن نحتاج الحذاء نلبسه، نفتقر إلى الحذاء لكي يكون حاميًا لنا مما قد يصيب أقدامنا! نحن في غاية الفقر، ولأننا مفتقرون نعبده سبحانه، ومجرد كوننا مخلوقين له هذا يعني استحقاقه لعباداتنا وطاعاتنا ووقوفنا أمام بابه.

لأننا مفتقرون نحن إليه نفر.

لأننا مفتقرون نحن بين يديه نتذلّل ونتكسر ونطلب ونسأل ونرجو.

سبحان الله كيف تنقلب المسائل؟! ولولا هذا ما شعرنا بآثار أسمائه وصفاته، ما حصلت الرّغبة والرّهبة إليه، فهو -سبحانه وتعالى- أظهر كماله ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[١] بمعنى أظهر للخلق، أشهد الخلق على كماله.

ثم انظروا مَن هذا الّذي ليس له حقّ على أحد؟! الّذي ليس له حقّ على أحد لا بدَّ أنّ يكون إما عاجز وإما معدوم، فلا تظنّوا هذا الظّنّ الباطل أو تسمعوه ولا تدروا ماذا تقولون، الله لا يحتاج إلى عباداتنا، نحن المحتاجون إليه الفقراء، وهو -سبحانه وتعالى- قد جعل للمقبلين عطاء، وجعل للمدبرين جزاء على إدبارهم، المخلوق لا يضرّ الله إن لم يعبد ولم ينفعه إن عبد، وفي الحديث المشهور: «يا عِبَادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا علَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنكُمْ، ما زَادَ ذلكَ في مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا علَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، ما نَقَصَ ذلكَ مِن مُلْكِي شيئًا، يا عِبَادِي لو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فأعْطَيْتُ كُلَّ إنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، ما نَقَصَ ذلكَ ممَّا عِندِي إلَّا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ إذَا أُدْخِلَ البَحْرَ، يا عِبَادِي إنَّما هي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا، فمَن وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ، فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ. وفي روايةٍ: إنِّي حَرَّمْتُ علَى نَفْسِي الظُّلْمَ وعلَى عِبَادِي، فلا تَظَالَمُوا».[٢] الخلق كلّهم لو أدوا حقّ الله لا يزيد ذلك في ملكه شيء، ولو كلّهم لم يؤدوا لم ينقص من ملكه -سبحانه وتعالى- شيء، لكن الخلق لو قصر أحدهم في حقوق الآخرين أو مثلًا له حقّ وما أعطاه

---

(١) آل عمران: ١٨.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

إيّاه، فهذا ينقص من المخلوق، أمّا ربّ العالمين عدم أدائك لحقّه لا ينقص في ملكه شيئًا ولكن أنت الّذي تكون خسرانًا ومن ثمّ أنت تستحق أن تعاقب على عدم سلوكك الطّريق السّليم.

ومن هنا نفهم هذا الاسم العظيم الّذي ختمت به آية الكرسيّ، من هنا نعود إلى موطن ما كنا نتدارس في آية الكرسيّ ونرى كيف أنّ ربّ العالمين طمأن المؤمنين به غاية الطّمأنينة **وأخبرهم عن علوّه:**

- علوّ ذاته.
- وعلوّ قدره.
- وعلوّ صفاته.

أخبرهم عن هذا الأمر من أجل أن يكونوا في غاية الطّمأنينة، ربّنا العظيم الّذي له ما في السّماوات وما في الأرض، ربّنا العظيم لا يحتاج إلى شيء، وكل شيء محتاج إليه -سبحانه وتعالى-.

ولذلك انظروا كيف أخذتنا الآية بكل يسر وسهوله إلى هذه العقيدة؛ عقيدة علوّ الله -عزّ وجلّ-.

- انظر كيف بدأت بالخبر العظيم الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين.

- الله هو المستحق لأن يكون إلهي الّذي أعظمه.

- الله هو المستحق لأن يكون إلهي الّذي أتعلّق به، انظروا لهاتين الكلمتين الإله المحبوب المعظّم، ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ لا إله يحبّ ويعظّم إلّا الله لأنّه هو العليّ العظيم.

وانظروا كيف من أوّل الآية فيها عشرة جمل كما مر معنا، الجمل التّسعة الأولى مقدمة لهذه الخاتمة، مقدمة لاسم العليّ العظيم. سنرى شيئين مع بعض الآن وإن شاء الله يظهر غاية الظّهور.

نرى في الأمر الأوّل أن كلّ جملة من هذه الجمل توصلنا إلى أنّ الله هو العليّ، ونرى أنّ كلّ جملة من هذه الجمل تقوي طمأنينتنا، تقوي صحتنا النّفسية، تقوي عقيدتنا:

- ابتدأت بكلمة التّوحيد، بمفتاح الجنة، بإفراده -سبحانه وتعالى- بالألوهية، هو الإله الّذي يستحق أن يكون محبوبًا معظّمًا فلا تبذل مشاعرك في غير رضاه، هو الإله الّذي يستحق المحبة والتّعظيم.

- هو الحيّ القيّوم الّذي حياته كاملة، وقيّوميته كاملة، كن مطمئنًا.

- هو عنك لا يغيب ولا يغيب عن أي شيء -سبحانه وتعالى-، مطّلع عليك، قائم عليك، يسوق إليك أرزاقك، قد قدّر لك أقدارك، وحدد لك اختباراتك، ما عليك إلّا أن تطمئن إليه فاطمئن، ربّك لا يغيب.

ولذلك انظروا إلى إبراهيم عليه السّلام كيف مثّل هذه المسألة وبيّنها، فقال في مناظرته لقومه ما يدلّ على حياة الله العظيمة، ما يدلّ على أنّ الإله لا بدَّ أن يكون قريبًا، بقي يقول لهم: ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾[1] كلما كان في مناظرة قومه كما هو معلوم يتنزل معهم، ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ نعم! لا يحب الآفلين، ولا أحد يحبّ من يغيب؛ لأن الأفول دناءة، الأفول غياب، ماذا أفعل إذًا عندما أحتاج في أي ساعة من ليل أو نهار؟! مادام سيأفل مادام سيغيب إذًا لا بدَّ أن يكون الأمر فيه بُعد، لا بدَّ أن يكون الأمر في غياب، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

فكيف يمكن أن يعيش الإنسان بعيدًا في لحظة عن الرّحمن؟! لذلك الّذي يغيب لا يمكن أن يكون إلهًا، ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ في مقابل هذا ربنا أخبرنا عن نفسه أنّه لا يغيب بل هو حيّ قيّوم -عزّ وجلّ-، فكانت هذه الجملة الثّانية المطمئنة للخلق.

- ثم أتى بعد ذلك الخبر عن أنّه -سبحانه وتعالى- ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ فكان في هذا زيادة طمأنينة، لا تخشى أبدًا، ربّ العالمين لا يغيب أبدًا بل هو معك، نعم، معك وستتأكد من ذلك عندما يأتي اسم (العليّ) وكيف أنّه مع علوّه فهو قريب -سبحانه وتعالى-.

عرفنا أنّه -سبحانه وتعالى- منفي عنه السّنة والنّوم، وفي الحديث كان أمرًا واضحًا كما قال النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: «إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لا يَنامُ، ولا يَنْبَغِي

---

(١) الأنعام: ٧٦.

له أنْ يَنامَ»[1] يعني أن هذا الأمر لا يليق به -سبحانه وتعالى- وليس واقعًا وحاشاه -سبحانه وتعالى-، فهو الّذي يدبّر الكون، ولا يغيب عنك أبدًا.

- ثمّ تأتي الجملة الرّابعة تزيدنا طمأنينة، تزيدنا يقينا، تزيدنا تأليها، تؤكد لنا أنّه ليس كمثله شيء، أنّه له العلو المطلق، فيقول ربّ العالمين: ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ من سيقهرك ومعك من له ما في السّماوات وما في الأرض؟! وكلّ شيء تحت قهره وسلطانه، فهو خالقهما ومدبّرهما وهو المهيمن عليهما، وكلّ الإنس والجنّ والملائكة وكلّ شيء عبد له، فكن مطمئنًا لكمال ملكه.

- من كمال ملكه جاءت الجملة الخامسة: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ لا يستطيع أحد أن يحكم في شيء أو يتحكم في شيء وما أعجب الطّمأنينة الّتي تحصل في النّفس حين يعلم الإنسان أنّ كلّ شيء ملك لله، وأنّه يصرف كلّ شيء كما يشاء، وأن لا أحد يستطيع أن يفعل أي شيء في ملك الله.

وتأمّلوا معي هذا الموقف بين موسى -عليه السّلام- وربّ العالمين في حدث عظيم، حدث ليس مثله حدث، لما كلم الله موسى -عليه السّلام- وانظروا يسأل الله -عزّ وجلّ- موسى فيقول له: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ يقول موسى عليه السّلام: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ﴾ لاحظوا أضافها لنفسه، ثم ذكر: ﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ﴾. انظروا هي عصا الآن وهي عصا موسى،

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩).

عصاي الّتي أفعل بها كذا وكذا، فقال الله -عزّ وجلّ-: ﴿أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ﴾ الآن هي عصا في ملك موسى ولكن الحقيقة أنّ كلّ شيء في ملك الله ﴿فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ﴾ كلّ شيء ملك لله يصرفه كيفما شاء، ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾[١] سنعيدها هيأتها الأولى فتنتفع بها كما كنت تنتفع من قبل ولكن حصل هذا لتعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير، أنّ الملك ملك الله، والأمر أمر الله، والتّدبير تدبير الله، فنحن إلى الله.

نحن جميعًا ملك الله، فاطمئن لله، اطمئن كلّ شيء في ملكه وتدبيره، نعم، المعجزات خاصّة بالأنبياء ولكن عطايا الله لا نهاية لها. الّذي يهمك أن تعرفه أنّ ربّ العالمين الرّحمن الرّحيم قد أعطاك هذا العلم لكي تطمئن، لتعرف أنّ الله سيصرّف الأمور موافقة لحكمته والملك ملكه والأمر أمره، ويأتي للإنسان من الأمور ما لا يكون في الحسبان.

فالله هو العليّ على كلّ شيء، له ملك السّماوات والأرض فاطمئن، أنت عندما تلجأ إلى الله تلجأ لمن بيده كلّ شيء، من يستطيع أن يصرف شيئًا من دون أمر الله؟! من يستطيع؟! ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

ثم أتظنّ أن الله يغيب عنك؟ لا، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ علمه واسع محيط بكل شيء جملة وتفصيلًا، له العلوّ المطلق في هذه الصّفات -سبحانه وتعالى-، له العلوّ المطلق في صفات الكمال، فاطمئن، الله يعلم كلّ شيء.

---

(١) طه: ١٧-٢١.

تصوّري علم الله الواسع المحيط بكلّ شيء جملة وتفصيلًا كما مر معنا الحبة في ظلمات الأرض الرّطب منها واليابس الله يعلمها، لا تسقط من ورقة إلّا الله يعلمها، يعلم الدّم الّذي يجري في دماء النّملة الّتي تجري في تلك العظام النّحل الله يعلمها، فكيف لا يعلم ما بك من ضيق؟! أتظنّه يغيب؟! لا والله لا يغيب.

ولذلك لا تظنّ أنّ هذه المناظرة الّتي أراد إبراهيم -عليه السّلام- أن يظهر فيها عظمة ربّ العالمين لا تظن أن الكلمات الّتي فيها لا تقويك. سورة الأنعام الّتي أتت فيها هذه المناظرة سورة عجيبة أتى فيها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ مرتين الّذي له العلو المطلق، ثم أتى في السّورة هذا القول من كلام إبراهيم -عليه السلام- لما كان يناظر قومه أنّ كلّ شيء يأفل، كلّ شيء يغيب، عندما يغيب من يعرف حالي؟! من يدبّرني؟! لذلك : ﴿لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ وإنما أحبّ القريب، وكلّ هؤلاء القريبين من الخلق سيذهبون، ما في قريب على الحقيقة إلّا ربّ العالمين الذي ﴿لَهُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الذي ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ والخلق لا يمكن أن يشاركوا ربّ العالمين في ذلك، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ فكلّ علم تعلّمه الخلق الله علمهم إيّاه، والله فوق كلّ هؤلاء، العليّ في علمه، هو الّذي أعطاهم هذا العلم ليتعلموه، فليس العلم إلّا ما علم الله.

- ثمّ يأتي ما يدلّ على عظمته وجلاله خلق من خلقه: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ سبحان الله، ما أعظم ربّ العالمين! وذكرنا في اللّقاء الماضي عقيدتنا في الكرسيّ وعقيدتنا في العرش وأنهم مختلفون.

عقائد عظيمة قد مر معنا مناقشتها، المهم أن تعرف أنها تدلّ على عظمة ربّ العالمين، فمن كان هذا خلقه كما قال ابن عباس: "الكرسيّ موضع قدم الربّ، والعرش لا يقدر قدره أحد" فكيف يأتي أحد من العباد ويظنّ أنّ عبادته لله لأنّ الله يحتاج منه العبادة!! تعالى الله عما يقولون هذا قلب للموازين، بل أنت يا مسكين الّذي تحتاج، أنت من ينصرك إذا ظلمت؟! من ينجيك إذا وقعت في كرب؟! من يطعمك ويسقيك؟! من يأويك؟! من إذا نمت أحاطك بحفظه وقبضت إليه روحك؟! من يا مسكين يجري الدّماء في عروقك؟! أنت إلى الله محتاج وفقير وهو عنك غني.

له الكمال المطلق كما مر معنا ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ لا يتعبه -تعالى الله- حفظ السّماوات والأرض فهو كامل القدرة، الله يحفظ السّماوات والأرض، فهل تظن أنّه لا يحفظك ولا يعطيك ولا يكفيك؟! الله المستعان.

ولذلك - كما تبيّن في أوّل الكلام- حين لا يقدر الناس الله حقّ قدره ولا يعرفون عظمته ومن ثمّ لا يقع منهم تعظيم ربّ العالمين كما ينبغي، تجدهم يتكلمون بطريقة لا تعرف كيف أوهمهم الشّيطان بهذا الوهم! تأتي الواحدة منهم تقول لك: هل يأبه الله بي وأنا ذرة في هذه المجرة؛ لأجل أني أخذت شعرة من حاجبي! فهل يأبه بي بين كلّ هذه المجرات؟! تعالى الله، كيف تقول هذا الكلام؟! هل أنت تعلم عظمة الله وأنّه لا يشغله شيء عن شيء، أتظنّ في الله ما تظنّه في الخلق أنّ شيئًا يشغله عن شيء؟ المخلوق إذا اشتغل بشيء انشغل عن غيره ولكن الله -عزّ

وجلّ- لا يشغله شأن عن شأن، فلا تعامل الله معاملة الجاهلين، واعلم أنّه هو العليّ العظيم -سبحانه وتعالى-.

﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

وهذا الاسم العظيم وصلنا له من خلال هذه الأخبار كلّها، وعرفنا من هنا أنّ الله

- له **العلوّ في ذاته**، وهذا المعنى واضح، فقد فهمنا أنّ الكرسيّ هو موضع قدم الرّب، وأنّه -سبحانه وتعالى- استوى على العرش فهو فوق عباده، أشارت الآية إلى ذلك أشارت إلى علوّ ذاته -سبحانه وتعالى-، أصبح معنى العليّ: العالي الّذي ليس فوقه شيء في ذاته، فالله تعالى فوق خلقه عالٍ عليهم بذاته ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾[١] استوى على العرش استواءً يليق بجلاله، إذًا ربّ العالمين له علوّ الذات.

- والعليّ الّذي له **علوّ القهر والسلطان**، يعني الله عليّ قاهر غالب، فلا ينازعه منازع، ألم تسمع عن الله أنّ له ملك السّماوات والأرض وأن لا أحد يشفع عنده إلّا بإذنه؟ ألم تسمع أنّ الله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلّا بما شاء؟ فالله قاهر غالب، لا ينزعه منازع، ولا يغلبه غالب، ولا يقع في ملكه إلا ما يريد، وكلّ مخلوقاته تحت قهره

---

(١) الأعراف: ٥٤.

وسلطانه ولذلك أذكركم بآية الأنعام: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ لا يمكن مدافعة أقداره، لا يمكن للإنسان الّذي غرّ بشيء من التّمكين أن يخرج عما أراد الله، الله هو العليّ، عليّ بذاته، عليّ له علوّ القهر والسّلطان.

- الآن يأتينا **علوّ القدر والصّفات**: بمعنى أنّ صفات الله عليا لا مثيل لها، ولا يستحقها غيره، فهو الّذي لا إله إلّا هو، لا أحد له الكمال المطلق والعظمة المطلقة إلّا الله، فهو الّذي له الكمال المطلق والعظمة المطلقة فهو المستحق أن يكون الإله وحده، وهو وحده الحيّ الحياة المطلقة الّتي لم تسبق بعدم ولا يلحقها زوال، الله وحده القيّوم الّذي لا يحتاج إلى أحد ويحتاجه كلّ أحد، فهو الحيّ القيّوم ومن حياته وقيّوميته وعلوّ قدر صفاته أنّه ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

من علوّ صفاته: أنّ الملك كله له ﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

من علوّ صفاته: أنّ لا أحد يستطيع أن يشفع عنده إلّا بإذنه.

من علوّ صفاته: أنّ علمه ليس كعلم أي أحد ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾.

من علوّ صفاته: مخلوقاته العظيمة الكرسيّ والعرش.

من علوّ صفاته: أنّه قائم على كلّ شيء، بيده كلّ شيء، بأمره يحدث كلّ شيء ومع ذلك ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾ لا يتعبه حفظهما.

الله كما أخبر عن نفسه له المثل الأعلى ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[1] والمثل الأعلى أي الوصف الأعلى، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[2] ليس كوصفه شيء، له المثل الأعلى، له الوصف الأعلى.

نخلص من ذلك أن معنى اسم العليّ: أنّ الله له العلوّ المطلق لا يشابهه أحد، فرق عظيم بين الخالق والمخلوق، فرق عظيم من ثمّ بين حقّ الخالق وحقّ المخلوق. الله له العلوّ المطلق، علوّ الذّات وعلوّ القدر وعلوّ القهر، فالواجب تعظيم الله وتمجيده وتقديسه ومن ثمّ تعظيم أمره وشرعه ونهيه.

وإذا عرفنا هذا عرفنا أننا في نعمة عظيمة لأنّنا عرفنا من بيده كلّ شيء، من ليس فوقه شيء، من له الأمر كلّه، فلا يحتاج أن تطرق باب فلان وعلان وفلان الّذي فوق وعلان الّذي فوق وهذا يحولك على الّذي أعلى منه، وهذا يقول لك: الموضوع ليس عندي وعند فلان، وواحد يعتذر لك يقول لك: إن هذه الأمور ليست بيدنا! كلّ هؤلاء خارج دائرتنا ولجوئنا إلى من بيده كلّ شيء، فالحمد لله الّذي دلّنا على هذا الطّريق، والله إنّها نعمة لا يستطيع الإنسان أن يقدر قدرها.

لك الحمد يا ربّ العالمين، ارزقنا يا ربّ العالمين شكر هذه النّعمة واشرح صدورنا لأن نكون دائمًا إليك لاجئين، وبين يديك خاضعين، ولك مفتقرين مظهرين حاجاتنا، وبك عزيزين لا ننكسر إلّا بين يديك، لك الحمد يا ربّ العالمين

---

(١) الروم: ٢٧.

(٢) الشورى: ١١.

أن علّمتنا وربيتنا في الحياة، كم طرقنا أبواب الخلق فخذلونا، يا ربّ احفظنا من أن نقف عند أبواب الخلق، احفظنا واقفين على بابك فارين إليك. اللّهمّ آمين.

يا ربّ زدنا يقينًا بأنك العليّ العظيم الّذي بيدك الأمر كلّه، وكل شيء تحت قهرك وتصرفك وسلطانك، فلا نطلب إلّا إيّاك، ولا نسأل إلّا إيّاك، وأنت الّذي بيدك الخير تيسر الأسباب وتسهلها، يسّر كلّ سبب خير، يسّر لنا كلّ سبب خير، اللّهمّ فرج أمورنا، اللّهمّ يسّر أمورنا، الله اشف مرضانا، اللّهمّ عاف مبتلانا، اللّهمّ خصّ أهل الأمراض النّفسية بشفاء عظيم بما يعلمون عنك يا ربّ العالمين، يا ربّ علمهم عنك حتّى تشفى نفوسهم، يا ربّ أنت على كلّ شيء قدير، يا ربّ فرج هموم المهمومين، يا ربّ رد الشّباب إليك ردًا جميلًا، يا ربّ أخرج كلّ مدمن من إدمانه إلى بابك، علمه عنك، علقه بك، ارزقه طعم السّعادة الّتي يبحث عنها حتّى يترك ما جعله دنيًّا، يا ربّ احفظنا جميعًا واحفظ شباب المسلمين، اللّهمّ احفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا وعن أيماننا وعن شمائلنا ومن فوقنا ونعوذ بك أن نغتال من تحتنا. اللهم احفظ علينا ديننا ويسّر لنا أمورنا والحمد لله ربّ العالمين.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اللّقاء السّابع

الأربعاء: ١٢ ربيع الآخر ١٤٤٣هـ

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد لله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أهل الإيمان والطّاعة، يجعلنا ممن اتقاه حقّ التّقوى، واستمسك من الإسلام بالعروة الوثقى، ونحن نعلم أن أجسادنا على النّار لا تقوى، اللّهمّ قونا، قوِّ إيماننا وقوِّ تقوانا، واجعل بيننا وبين النّار حاجزًا، حرمنا ووالدينا ووالديهم وذرياتنا وأحبابنا والمسلمين على النّار يا ربّ العالمين.

هذا اللّقاء إن شاء الله سيكون آخر لقاء في مناقشة هذه الآية العظيمة آية الكرسيّ، وهي من أذكار الصّباح والمساء، وبها لو تأمّلنا أعظم طمأنينة تحصل للعبد؛ ولذلك تكرّر في أحوال كثيرة في ليل أو نهار، تكرر في أذكار الصّباح والمساء، وبعد كلّ صلاة، تكرّر عند النّوم، تكرّر ليتذكر الإنسان أنّه عبد لملك عظيم، أن له ركنٌ شديد يركن إليه، ويتقوى به، ويستعين به على صعوبات الحياة.

وقد مر معنا هذه الجمل العشرة في هذه الآية العظيمة إلى أن بقي لنا في الجملة العاشرة اسم (العظيم) وقد تبيّن لنا سابقًا أن هذه الآية ابتدأت بمفتاح الجنّة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ ثمّ سردت علينا هذه الآية ما لله من عظمة وجلال يستحق بها أن يكون إلهنا الّذي نحبّه ونعظمه، إلهنا الّذي أخبرنا سبحانه عن نفسه وعلمنا من أجل أن تطمئن نفوسنا، ومن أجل أن تكون قلوبنا به -عزّ وجلّ- متعلقة، وعليه متوكلة، وله مطمئنة، إن هاجمها الخوف؛ والخوف من أنواع الابتلاءات الّتي أخبر الله -عزّ وجلّ- أنّه سيبتلينا بها الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات، كلّها بلاءات، كلّها مخاوف تحيط بالإنسان والكبد الّذي خلق فيه كلّ هذا فرارك فيه إلى الله، كلّ أنواع الآلام التي تصيبك، تعلّق به -عزّ وجلّ- ليزيلها، وكلّ الآمال الّتي تؤمّلها، تعلّق بالله -عزّ وجلّ- أن يأتيك بها.

والله العليّ العظيم، العليّ ومع علوّه غاية في العظمة، وتصوروا كلّ شيء غير الله إن علا وأصبح بعيدًا يصغر، أي يصبح صغيرًا، وهكذا عندما يرى النّاس الأشياء الطّائرة في السّماء، عندما يرون الطّائرات الضّخمة في السّماء تكون هذه الطّائرات صغيرة لأنها عالية، وهذا يصلح على كلّ شيء غير الله، الله مع علوه فهو عظيم -سبحانه وتعالى-، الله مع علوه -عزّ وجلّ- عظيم.

ولذلك انظروا في صلاتنا وعبادتنا؛ آية الكرسيّ أعظم آية في كتاب الله ختمت بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ونحن في الصّلاة أعظم عبادة كما قال الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم-: «وَاعْمَلُوا أن خَيْرُ أَعْمَالِكُمْ الصَّلَاةُ» في الرّكوع يقول العبد: (سبحان ربي العظيم)، وفي السّجود يقول العبد: (سبحان ربي

الأعلى)، نلاحظ تكرار صفتي العلوّ والعظمة واقترانهما سويًا؛ فتعلم علوّ الله وأنّ علوّه معه العظمة، وأنّه -عزّ وجلّ- الّذي ينفرد بذلك، ينفرد أنّه مع علوّه عظيم.

وفي ذكر هاتين الصّفتين أمر عجيب نقوله في البداية قبل أن ندخل في تفاصيل هذا الاسم العظيم الّذي يورث الطمأنينة لنفوس المؤمنين.

في ذكر هاتان الصّفتان إشارة إلى أعظم الثّواب وهو رؤية الله -عزّ وجلّ-.
كيف ذلك؟

نحن بفضل الله نثبت رؤية الله؛ لأن الله -عزّ وجلّ- ولأن رسولنا الكريم قد أخبرنا عن هذا الحقّ، والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قد صرح بذلك فقال لنا: «إنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ هذا القَمَرَ، لا تُضَامُونَ في رُؤْيَتِهِ»[1] هذا إيمان، عندما تؤمنين أنّ الله عليّ عظيم تؤمنين معه أنّه -سبحانه وتعالى- من رآه لا يحيط به، فهو فوق كلّ شيء ومحيط بكلّ شيء، وإذا كان فوق كلّ شيء ومحيط بكل شيء فالأبصار لن تدركه ولن تحيط به ولكن تراه، فالإدراك أمر، والرؤية أمر آخر، فالله هو العليّ الأعلى -سبحانه وتعالى-، بائنٌ عن خلقه، مستو على عرشه، وهو -سبحانه وتعالى- عظيم فمن رآه لا يحيط به، فهو فوق كلّ شيء ومحيط بكلّ شيء -سبحانه وتعالى-.

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٤).

وهو ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ فهو مع علوّه -عزّ وجلّ- عظيم، وهو في عظمته -سبحانه وتعالى- قد جعل للخلائق طريق من العمل والاجتهاد وحسن الاعتقاد ليروا ربّهم العليّ العظيم.

ولذلك الله -عزّ وجلّ- بعظمته وجلاله جعل جزاء المؤمنين المصدقين أن يروا ربّ العالمين، أن يروا العليّ العظيم، هذا جزاء المؤمنين المتقين أن يتشرفوا بهذه الرّؤية أن يروا الرّب العلي العظيم، فهو العظيم الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء الّذي تحبّه القلوب وتعظّمه الأرواح وتشتاق لرؤيته -سبحانه وتعالى-، أهل الإيمان يعرفون أن عظمة الله فوق كلّ عظمة، وأنّ كلّ عظيم في الدّنيا مهما كان له صفة فعظمته مضمحلة في جانب عظمة العليّ العظيم. وأهل السّنة يعلمون أنّ الله تعالى عظيم، له كلّ وصف ومعنى يوجب التّعظيم، لا يقدر مخلوق أن يثني عليه كما ينبغي له ولا يحصي ثناءً عليه كما أثنى هو على نفسه.

وسيتبيّن لنا إن شاء الله خلال النّقاش كيف أن معاني التّعظيم الثّابتة لله تدور حول معنيين ولكن نبدأ بالكلام عن شيء من عظمة ربّ العالمين ومن جلال قدره إلى أن نصل إلى هذا التّقسيم.

عندما تسمعين اسم (**العظيم**) تعرفين أنّ الله هو وحده المنفرد بهذه العظمة، له العظمة والكبرياء ولا أحد يشاركه هذه العظمة، وتتذكري هذا الحديث القدسي الّذي قال الله فيه: «الكِبرياءُ رِدائي، والعظَمةُ إزاري، فمَن نازعَني واحدًا

منهنَّ ألقيتُهُ في جهنَّمَ»[1] تذكّري هذا واعلمي أن مطلق العظمة لربّ العالمين، فهو وحده المستحق للتعظيم والتّأليه والخضوع والذّل والانكسار، وهذا الخضوع والانكسار شرف للمؤمنين لأنهم ينكسرون للعظيم الّذي قد جمع صفات العظمة والجلال، فهو المستحق لأن يقف بين يديه العبد منكسرًا، وهو ملجأ لعباده، فهو العظيم الّذي لا يتجرأ أحد ولا يستطيع أحد كما مر معنا أن يشفع بين يديه إلّا بإذنه، لا أحد يستطيع في ملكه تحريكًا ولا تسكينًا، فكن مطمئنًا، إن كنت مع الله فكن مطمئنًا، فأنت معك من بيده ملكوت كلّ شيء، ومهما أخذ الخلق صفات في الملك والسّلطان فسلطان الله -عزّ وجلّ- هو السّلطان العظيم، وسلطان كلّ أحد دون الله إنما هو من سلطان الله يصرفه الله كيف يشاء.

الله لا ينازعه في عظمته أحد، هو الّذي عنت له الوجوه، وخشعت له الأصوات، ووجلت له القلوب، وذلّت له الرّقاب، وخضعت له راغمة أو راضية العباد. لا تظن أن شأنك بيد أحد غير الله، لله التّبجيل والعظمة والكبرياء ﴿لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ الملك ملك الله، هو الّذي ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ الله هو الّذي يستحق أن يعظّمه خلقه ويهابونه ويتقونه، ولو ما حصل هذا منهم فإنّ الله يعاملهم بحلمه وهم مساكين يظنّون أنهم خارج قدرته، لا يدرون المساكين أنّ ربّ العالمين يتركهم -عزّ وجلّ- من حلمه عليهم يتوبون ويعودون، أنت لا يغرّك تكبر المتكبرين، لا يغرّك أبدًا تكبر المتكبرين، ولا يخيفك تهديد ووعيد الظّالمين، فإنّ الله هو مطلقًا العظيم، والملك كلّه ملكه.

---

(١) صححه الألباني.

ولذلك ربّ العالمين يقول لنا كما في سورة التّوبة مبيّنًا عظمته -سبحانه وتعالى-: ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ التّوكل معه إيمان عظيم أنّ ربّنا هو الرّب العظيم؛ ولذلك في أوّل الآية: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾[1] الله أمر نبيّه في هذه الآية بالتّوكّل عليه وسبب التّوكل عليه: أنّ ربّنا هو الرّب العظيم، أنّ ربّنا هو ربّ العرش العظيم.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ لا حاجة لي بكم ولا باستعانتكم، الله كافيني، فالأمر على الحقيقة في يده فليس لي ناصر إلّا هو على الحقيقة.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ فوضت أمري إليه وبه وثقت وبغيره نزعت ثقتي.

﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾

- قراءة ﴿الْعَظِيمِ﴾ يمكن أن تكون بالكسر على أنها صفة للعرش.
- وبالرّفع على أنها صفة للربّ.

فإذا كانت صفة للربّ ستكون مناسبة لما نحن في صدده ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾، ﴿الْعَظِيمُ﴾ بالرّفع تكون صفة للربّ، ربّي العظيم، المحيط بكلّ شيء.

وممكن أن تكون صفة للعرش ﴿الْعَظِيمِ﴾ وأيضًا يكون معناها: إنّ الله العظيم هو الّذي خلق هذا العرش العظيم فبيده كلّ شيء.

---

(١) التوبة: ١٢٩.

الشّاهد بالنسبة لنا: أن نعلم أنّ ربّنا العظيم الّذي بيده كلّ شيء هو الّذي يستحق أن يتوكل العبد عليه، فالله ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه، إذا كان العباد يعظم بعضهم بعضًا لصفة ما فالله -سبحانه وتعالى- كامل الصّفات.

بعض البشر يكون عنده نوع عظمة ولكن لا تتصوري أبدًا أنّ البشر تكون عظمتهم كاملة أو شاملة! لا، ممكن أن يكون عظيمًا في قومه بسبب أخلاقه أو بسبب ماله أو بسبب سلطانه أو بأي سبب مثل النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أرسل إلى هرقل، قال -صلّى الله عليه وسلّم-: «مِن محمّد رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- إلى هرقل عظيم الرّوم»، فهو عظيم عند الرّوم ولكن تعلمون أنّ هذه العظمة عند الرّوم سلبت منه. فعظمة كلّ أحد غير الله تسلب منه في لحظة، قد يكون عظيمًا فيلحقه العجز في آفة تدخل عليه فيصبح ضعيفًا، قد يصيب ماله فاقة فيذهب ماله، أو صحته يصيبها سقم، قد يصيب جاهه زوال، قد يكون عظيمًا من أجل أنّه شاب ثمّ يشيب فلا تكون له عظمة، قد يكون سلطانًا معظّمًا في قومه فيزول سلطانه أو يفارق قومه فتذهب عظمته.

أمّا الله -سبحانه وتعالى- فهو ذو العظمة التّامة الكاملة -سبحانه وتعالى-، لا يعتريها نقص، ولا تشوب هذه العظمة شائبة، فهو -سبحانه وتعالى- في كلّ الأحوال عظيم، وفي كلّ الصّفات، عظمته أوجبت لعباده الطّمأنينة، فالله عظيم في ذاته، عظيم في علمه، عظيم في سمعه، عظيم في بصره، عظيم في صفاته كلّها، عظيم في قوته، في قدرته، في علمه، عظيم في انتصاره، عظيم في انتقامه، لا تنقص عظمته في شيء دون شيء.

وأمام هذه العظمة لا بدَّ أن تعرف أنّه يختبر العباد بأن يعطيهم أسبابًا وينظر إليهم هل يتكبرون؟ هل يترفعون عن الخلق أم بهذه الأسباب إلى الله يتقربون؟! وفي الحقيقة كلّ العباد خاضعون لله كما مر معنا رضًا أو كرهًا، مهما كان جبروت أحدهم لا يستطيع أن يتمرد على أقدار الله، من هذا الّذي يستطيع أن يرد مرضًا أراده الله، أو موتًا، أو مصيبة؟!

أين الجبابرة الّذين حادوا الله، أين فرعون ومن هم على شاكلته؟! هل استطاعوا أن يمنعوا الملائكة من قبض أرواحهم وقتما جاء حتفهم؟! لا بدَّ أن نفكر في هذا ونعلم أنّ الله جعل هذه الآثار العظيمة الّتي تدلّ على أقوام مضوا كان لهم عظمة شأن في شأن من الشّؤون كان لهم عظمة، تبقى الآثار العظيمة وهم يذهبون لكي نعلم أن الّذي طواها هو العظيم، وأنّه -سبحانه وتعالى- أبقى آثارها لنعلم أن العظيم وحده هو الّذي يتصرف في كلّ شيء، لا إله إلّا هو، ولا نطمئن إلّا إليه، ولا نغترّ بأحد فنتعلّق به بل نكون على يقين بأنّ الملك كلّه ملك ربّ العالمين، وأنّ الأمر كلّه أمر ربّ العالمين، مهما كان النّاس عظماء فهم عظماء في زمان دون زمان، عظماء في وقت دون وقت ولكنهم كلّهم سيعودون أذلاء عند موتهم فخضعت رغمًا عنهم رقابهم لله، وثبت لهم قصرًا أنّهم عباد من عباد الله يخضع لله شاء أم أبى. فالله أعظم من كلّ شيء ولا يعجزه شيء.

على المسلم أن يعظّم الله حقّ تعظيمه ويدعو الله -عزّ وجلّ- أن يرزقه تعظيمه -سبحانه وتعالى-، لا بدَّ أن يكون في النّفس شعور بما لله -عزّ وجلّ- من عظمة.

معاني التّعظيم الثّابتة لله وحده نوعان:

❁ **النّوع الأوّل:** أنّه موصوف بكلّ صفة كمال، وله -عزّ وجلّ- من ذلك الكمال أكمله وأعظمه وأوسعه، لا يغرنك الخلق. إذا كان الخلق عندهم علم فالله علمه محيط واسع بكلّ شيء جملة وتفصيلًا وقد مر معنا: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾.

إن كان عند الخلق قدرة على شيء فالقدرة النّافذة الكاملة لله -عزّ وجلّ-.

إن كان عند الخلق صفة السّمع أو صفة البصر فهي محدودة والله -سبحانه وتعالى- أحاط سمعه -سبحانه وتعالى- بكلّ المسموعات، وأحاط بصره -عزّ وجلّ- بكل المبصرات، له العظمة والكبرياء.

ومن عظمته أنّ السّماوات والأرض في كف الرّحمن أصغر من الخردلة والله يقول: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[١] نعم، من لم يعبد الله حقّ العبادة ما قدر الله حقّ قدره، من لم يعظم الله حقّ التّعظيم ما قدر الله حقّ قدره.

وأهل الإيمان عليهم في كلّ حين أن يراجعوا أنفسهم ليروا ماذا يجدون في قلوبهم من تعظيم لله، الله -عزّ وجلّ- يقول: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما قدروا

(١) الزمر: ٦٧.

عظمته تعالى حقّ عظمته، ولا عرفوا جلاله حقّ معرفته، لما التفتوا عنه إلى الخلق، ولما اطمأنوا بمالهم أكثر مما اطمأنوا بوعود الله، لما اطمأنوا بالمحسوس أكثر مما اطمأنوا بما عند الله، لما أساؤوا الظّن بالله ووصفوه بما لا يليق مع أنّ عظمته وكماله تتحيّر فيها العقول، سبحان الله! سماء مليئة بالنجوم، كواكب تتحرك في كلّ وقت، كيف هذه الشّمس تشرق وتغرب، كيف هذا اللّيل يغطي النّهار ثم يزول عنه، سبحان الله؟! وسيأتي اليوم الّذي يبدل الله الأرض غير الأرض، ويطوي السّماوات كطي السّجل وكلّ هذا أهون شيء عليه، يقول للشيء: كن فيكون.

الله الكامل الرّب العظيم الّذي من عظمته الباهرة ومن قدرته الباهرة أنّ جميع الأرض يوم القيامة في قبضته -سبحانه وتعالى-، وأنّ هذه السّماء الّتي نراها ونرى فيها الكواكب على سعتها وعلى عظمتها مطويات بيمينه، لا عظمة حقّ سوى عظمته هو -سبحانه وتعالى- والّذي أخطأ في هذا وما أحسن التّقدير عاش في الدّنيا خائفًا من كلّ شيء، قلبه يرتجف لأقل شيء! ولكن من عرف هذا وعرف أنّ الله هو الملك الأعظم، الملك العظيم إطلاقًا، فعظّمه وتعلم أكثر وأكثر ليزداد تعظيمًا، فهذا سيكون سائرًا في الطّريق الصّحيح والله سيعينه، وهذا سيكون شاعرًا أنّه لو استغرق الزّمان كلّه في عبادة الله وأخلص في طاعة الله بحيث لم يخل شيئًا منها يعلم أنّه لو فعل هذا كلّه لما كان ذلك حقّ قدر الله، فيعلم ضعفه فيكثر من طلب العفو.

وقد مر معنا في اللّقاء الماضي أن من أسباب أن نطلب العفو في الأوقات الّتي يرجى إجابتها مثل ليلة القدر، أننا نعلم أننا ما قدرنا الله حقّ قدره، وأننا لو استغرقنا الزّمان كلّه عبادة وطاعة بحيث أنّه ما خلا زمن إلّا ونحن عابدون ما كنا قدرنا الله حقّ قدره، فكيف ونحن لسنا صانعين لهذا ولا قائمين عليه؟! فنعوذ بالله من ضعف اليقين! نعوذ بالله من الجهل بربّ العالمين.

الله قد أخبر عن نفسه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّن بَعْدِهِ ۚ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[1] نحن نعيش في رحمة الله. الله المستعان.

لله تعالى الكبرياء والعظمة، وهذا هو النّوع الأوّل.

معاني التّعظيم الثّابتة لله وحده نوعان: هذا النّوع الّذي تكلمنا فيه طوال الكلام السّابق.

❀ النّوع الثّاني **من معاني عظمته تعالى:** أنّه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظّم كما يعظّم الله، يستحق -جلّ جلاله- أن يعظموه بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم، وأوّل التّعظيم بذل الجهد في معرفته، والذّل له، والانكسار له، والخضوع لكبريائه، والخوف منه، وباللّسان الثّناء عليه وقيام الجوارح بشكره وعبوديته.

---

(١) فاطر: ٤١.

ولذلك كان من تعظيم -عزّ وجلّ- الإكثار من ذكره؛ ولذلك نعظّم الله في الرّكوع فنقول: (سبحان ربي العظيم)، ونقول في الرّكوع والسّجود: (سبحان ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة).

- ومن تعظيمه -عزّ وجلّ-: أن يعظّم أمره ونهيه، أن يعظّم كتابه، أن تعظّم أحكامه، أن يعظّم المصحف مثلًا ولا نستخف به.

- أيضًا من تعظيمه -عزّ وجلّ-: أن نعظّم فرائضه، وأن نعظّم اسمه: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[1].

- من تعظيم الله: اجتناب النّواهي وعدم الاستخفاف بها، وعدم تحليل ما حرمه أو تحريم ما أحله ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾[2].

الله ذكر في كتابه أن من أسباب دخول النّار كما قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾[3] العذاب العظيم لمن لا يؤمن بالله العظيم، فمن عظّم الله آمن بالله.

- من تعظيمه -سبحانه وتعالى-: تعظيم سنّة نبيّه -صلّى الله عليه وسلّم- فلا تعارض ولا يستهان بها، ولا ترى النّاس معرضين عنها فلا يتعلموها ولا يهتمون بها، يعيشون حياتهم خاليين من سنّة النّبيّ -صلّى الله عليه

---

(١) الحج: ٣٢.

(٢) الحج: ٣٠.

(٣) الحاقة: ٣٣.

وسلّم-. ينسون أنّ الله أرسل لهم هذا الرّسول ليقتدوا به في كلّ تصرف وفي كلّ كلمة وحركة. من تعظيم الله تعظيم أصحاب رسول الله، تعظيم أزواج رسول الله، آل بيت رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-.

أيضًا من عظّم الله -عزّ وجلّ- وآمن به شعر في قلبه أن هذا الاسم له أثره وفكر كثيرًا في هذا الاسم، انظروا عندما ندعوا للمريض الّذي لم يحضره أجله، كما في حديث النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: «مَن عادَ مريضًا لم يحضُرهُ أجلُه فقالَ عندَه سبعَ مرَّاتٍ: أسألُ اللَّهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يشفيَكَ، عافاهُ اللَّهُ من ذلِكَ المرضِ»[1] لاحظوا : «أسألُ اللَّهَ العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ» فهذا الاسم له أثره.

أيضًا من أدعية الكرب تعظيم الله؛ لأن المكروب يشعر أنّ هذا الكرب قد أغلق عليه الدّنيا ولما يتذكّر عظمة الله يعلم أن الأمر بيده فيقول كن فيكون فيدفع الله عنه مكر الماكرين، اللّهمّ ادفع عنا مكر الماكرين. ويدفع عنه المصائب العظيمة الّتي يظن أنّها لا تتغير، يشفي مريضًا -سبحانه وتعالى-، ويرد غائبًا، اللّهمّ رد كلّ غائبًا إلى أهله، ويزيل ما في النّفوس من أدواء، وما في القلوب من أمراض، يزيل إدمان المدمنين، ويزيل شرود الشّاردين، اللّهمّ ردهم جميعًا إليك ردًا جميلا.

---

(١) حسّنه الألباني.

ولذلك انظروا دعاء الكرب: «لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ والأرْضِ، ورَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ»[١] دعاء الكرب يدلّنا على أنّ المؤمن يجب أن يكون واثقًا في عظمة الله وفي قدرة الله، ولا يلجأ إلّا لله، كم من مريض يأس الأطباء من شفائه وقنطوا من علاجه ولكن الله أظهر لهم عظيم قدرته، وقهر بعظمته هذه الأمراض فشفاه.

فالدّعاء باسم الله العظيم من أسباب شفاء الأسقام.

والدّعاء باسم الله العظيم من أسباب تفريج الكربات.

وحتّى في التّسبيح نحن نسبح باسم الله العظيم: «كَلِمَتانِ خَفِيفَتانِ علَى اللِّسانِ، ثَقِيلَتانِ في المِيزانِ، حَبِيبَتانِ إلى الرَّحْمَنِ: سُبْحانَ اللَّهِ العَظِيمِ، سُبْحانَ اللَّهِ وبِحَمْدِهِ».[٢] ومن عظمة هذا الاسم أنّ الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- قال: «مَن قال حينَ يُصبحُ: سبحانَ اللهِ العظيمِ وبحمده مائةَ مرةٍ، وإذا أمسى كذلك؛ لم يُوافِ أحدٌ مِن الخلائقِ بمثلِ ما وافى» [٣] يعني ينال هذا الأجر بسبب تعظيمه لربّه (سبحانَ اللهِ العظيمِ وبحمده).

يجب أن نعتقد أنّ الله هو العظيم الّذي يعظم الرّزق لعباده والأجر والثواب ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾[٤] الله عظيم وفضله عظيم،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٤٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٩٢).

(٤) الطلاق: ٥.

لا يقدر أحد من العباد أن يحصيه وأن يحيط بمقداره، فهو عظيم في عطائه ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[1] هو صاحب الفضل العظيم كمية وكيفية. هو صاحب الفضل العظيم الّذي نعيش في أفضاله كلّنا جميعًا البّر منا والفاجر، المؤمن والكافر، كلّ الخلق يعيشون في فضل الله.

والله -سبحانه وتعالى- لا تتعاظم عليه المسائل مهما عظمت وكبرت وكثرت ولذا ثقوا بالله وتوكلوا على الله وأكثروا من سؤال الله، «لاَ يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لاَ مُكْرِهَ لَهُ»[2] ويعظم الرّغبة فالله لا يتعاظمه شيئًا على الإطلاق، لنجعل هذا الأمر في قلوبنا سببًا لطمأنينتنا أننا ندعو وندعو ونسأل الله -عزّ وجلّ- ونحن مطمئنون، مطمئنون أنّه -سبحانه وتعالى- عظيم. فمهما كان عندنا مخاوف أو مطالب أو أمور نرجوها فالله عظيم في ملكه، عظيم في جوده، عظيم في علمه، عظيم في قهره، فعال لما يريد.

عظّموا الله في أنفسكم، عظّموا الله في أقوالكم وأفعالكم، لا بدَّ من نشر هذه المعاني لتستطيب النّفس والحياة ولكيلا يحصل في القلب أي يأس أبدًا. نقوي إيماننا بالله ونقوي إيماننا بعظمته ونزداد نشرًا لهذه الحقائق من أجل أن يكون مجتمعنا مستقر نفسيًا ولا يحصل فيه اليأس ولا الهرب إلى حلول خادشة للحياء أو حلول قد يقضي النّاس على أنفسهم بسببها، يتخذون قرارات اليائسين، نعوذ بالله من ذلك.

---

(١) آل عمران: ٧٤.

(٢) متفق عليه.

اللّهمّ أصلح لنا ديننا الّذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا الّتي هي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا الّتي فيها ميعادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كلّ خير واجعل الموت راحة لنا من كلّ شر، اللّهمّ نسألك من الخير كلّه عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، ونعوذ بك من الشّر كلّه عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم، اللّهمّ إنا نسألك ما سألك منه عبادك الصّالحون ونستعيذ بك مما استعاذ منه عبادك الصّالحون.

سبحانك ربّنا ربّ العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين.

نكون بهذا بفضل الله قد انتهينا من هذه الآية العظيمة وننتقل إن شاء الله الأسبوع القادم لمدارسة ذكر جديد ونبدأ إن شاء الله في المعوذات.

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته